العرب

مجلة تُعنى بتاريخ العرب
وآدابهم وتراثهم الفكري

أسسها حمد الجاسر سنة ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م)

صاحب الامتياز المسؤول: معن بن حمد الجاسر

الجزء الثالث والرابع – السنة ٥٤

رمضان وشوال ١٤٣٩هـ
مايو – يونيو / أيار – حزيران ٢٠١٨م

رئيس التحرير

أ. د. أحمد بن محمد الضبيب

أعضاء هيئة التحرير

أ. د. أسعد بن سليمان بكر عبده

أ. د. عبدالعزيز بن صالح الهلابي

أ. د. عبدالعزيز بن ناصر المانع

أ. د. محمد بن عبدالرحمن الهدلق

العنوان:

التحرير: واصل ٢٧٩٢ – شارع أبي دجانة – حي صلاح الدين – وحدة رقم: ١

الرياض ١٢٤٣٢ – ٦٧٥٢

ص. ب: ٦٦٢٢٥ الرياض ١١٥٧٦، المملكة العربية السعودية

هاتف: ٢٦٩٠٥١٢ (٠٠٩٦٦١١) – **مباشر**: ٢٢٥٣٦٨٣ (٠٠٩٦٦١١)

الاشتراكات: ٦٩٧٨ شارع حمد الجاسر – حي الورود – الرياض

ص . ب ١٣٧ الرياض ١١٤١١ – المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٠٤٦٦٤ (٠٠٩٦٦١١) – **لاقط**: ٤١٩٤٥٠٣ (٠٠٩٦٦١١)

الصفحة الإلكترونية: www.hamadaljasser.com

للمراسلة: arab@hamadaljasser.com

ضوابط النشر في المجلة

١. أن يكـون البحث داخلاً ضـمن اهتمامات المجلة وهي الموضـوعات المتعلقـة بتاريخ العرب، وآدابهم، ولغتهم، وتراثهم الفكري.

٢. ألا يكون البحث مقدمًا للنشر في مجلة أخرى، وأن يكون في نسخته الأصلية.

٣. أن يتأكد الكاتب من سـلامة اللغة، وحسـن الترقيم والتوثيق، وضبط الألفاظ غير المألوفة بالشكل الصحيح.

٤. أن يتسم النقد بالأسلوب العلمي الخالي من الإساءة إلى شخصية المؤلف أو الباحث.

٥. لا تُعاد البحوث إلى أصحابها سواء أنشرت أم لم تُنشر.

٦. ترتيب البحوث داخل المجلة يخضع لاعتبارات فنية لا علاقة لها بمكانة الكاتب.

٧. الموضوعات التي تُنشر في المجلة تعبّر عن آراء كاتبيها وليس بالضرورة عن رأي المجلة.

٨. المكاتبات توجه إلى رئيس التحرير.

٩. يفضل إرسال المادة إلكترونيًا في ملف (وورد) إلى عنوان المجلة:

arab@hamadaljasser.com

الاشتراك السنوي:

٦٠ ريالاً للأفراد و٢٠٠ ريال لغيرهم.

ثمن الجزء ١٠ ريالات.

الإعلانات:

يتفق عليها مع الإدارة

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤١٨

رد مد (ISSN) : ۲۶۷۱- ۱۳۱۹

الفهرس

الرحلة الحجازية في الأدب الجزائري القديم	د. سميرة أنساعد	١٥٧
الكتابات الشنقيطية		
في علم السيرة النبوية	د. التاه بن محمدن بن اجمد	١٧٩
شرح لامية العرب بين المبرد والتبريزي	أ. سامح السعيد	٢٠٧
شعر الحلواني القيرواني	د. محمد عويد محمد الساير	٢٣٥
الخيال الشعري بين الشابي		
ومحمد الخضر حسين (٤)	د. إبراهيم عبدالفتاح رمضان	٢٦٣
أعلام العرب: (رشدي ملحس)	د. عبدالرحمن الشبيلي	٢٨١
مكتبة العرب: معجم الألفاظ		
والتراكيب الاصطلاحية	إبراهيم باجس عبدالمجيد	٢٨٧
إهداءات إلى مكتبة العرب		٢٨٩

الرحلة الحجازية في الأدب الجزائري القديم

قراءة في رحلة أحمد بن عمار الجزائري

نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب

بقلم: د. سميرة أنساعد(*)

تقديم:

خطت الرحلة في الأدب العربي خطوات مهمة وكبيرة أثناء مسيرتها التاريخية منذ النشأة وحتى العصر الحديث، وقد أسهم في تطويرها عدد كبير من العلماء والأعلام في شتى التخصّصات؛ إذ لم يقتصر التأليف فيها على الأدباء فحسب، بل تعداهم إلى المؤرخين والجغرافيين، وعلماء الدين، والنسَّابة وكتَّاب التراجم، وعلماء اللغة، وطلبة العلم، والصحفيين، .. وغيرهم. ولأجل ذلك تعددت أساليب الكتابة الرّحلية، وتنوعت موضوعات الرحلات وأشكالها تبعًا لتعدد مشارب كُتَّابها، وأهداف الرحلات ووجهاتها.

وإن كان المشرق العربي قد حمل لواء الرّيادة في التأليف الرّحلي منذ القرن الثالث الهجري، مع الجغرافيين والمؤرخين القدامى؛ أمثال اليعقوبي في كتابه **البلدان**، والمسعودي في **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، وابن حوقل بكتابه **صورة الأرض**، ومحمد المقدسي وكتابه **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**[1]، فإن

المغـرب العربي ما لبث أن تسـلَّم المشـعل ابتـداءً من القرن السـابع الهجري مع الرحالة ابن جبير الأندلسي (ت٦١٤هـ) مؤلف رحلة **تذكار الأخبار عن اتفاقات الأسـفار**، ثـم ابن بطوطة اللواتـي المغربي (ت ٧١١هـ) في رحلتـه: **تحفة النظار في غرائـب الأمصـار**،.. وغيرهما من الرحَّالـين. وقد عملت رحلات المغاربة نحو المشـرق لطلب العلـم، أو لأداء الحـج والعمرة، علـى تزايد التأليـف المغاربي في الرّحلة وازدهاره.

١. الرّحلات الحجازيّة في الأدب الجزائري القديم:

لم يكـن الجزائريون بمعزل عن حركـة الرحلة والتدوين، فقد تركوا رحلات كثـيرة في هذا الباب منـذ القرن السـابع الهجري، ونذكر منهم أبا القاسـم بن يوسـف التجيبي التلمسـاني (٧٣٠هـ- ١٣٢٩م)، الذي وصـف رحلته إلى المشرق لطلب العلم والحج، عام ٦٩٦هـ - ١٢٩٦م، وقد ضمَّنها الكثير من الأخبار المتعلقة بالشـيوخ الذين لقيهم، أو سـمع منهـم، أو روى عنهم، كما وصـف مراحل الحج والعمرة، وما يؤدَّى فيها من شـعائر، ووصف آثار مكة وأضرحتها وعمارتها...[٢]، كما نجد في كتاب **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الديـن بـن الخطيب** لأبـي العباس أحمـد المقَّري أخبارًا عـن رحلة الجد محمد ابن محمد أبي عبدالله المقَّري التلمساني (ت ٧٥٨هـ- ١٣٥٧م)، نقلاً عن رحلته المشـرقية المعنونة بـ **رحلة المتبتّل**، وهي رحلة لطلب العلم، والقيام بالحج[٣]، كما نقرأ رحلة أخرى علمية شبيهة بكتب البرامج، ألفها محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسـي التلمسـاني (ت ٧٨١هـ)[٤]، وهي بعنوان **عجالة المستوفز المستجاز في ذكـر من سـمع من المشـائخ دون من أجـاز من أئمة المغرب والشـام والحجاز**[٥]، وقد ضمَّنها أسماء شيوخه من المغرب والمشرق، والذين بلغوا نحو الألفين[٦]، كان منهـم: الإمام ابـن عَرَفة، وأبو العباس القصـار، وأبو زيـد المكودي، ومحمد ابن مسـعود الصـنهاجي، والسـراج البلقيني، والحافـظ أبو الفضـل العراقي،

والمجد الفيروزآبادي صاحب **القاموس المحيط**، ... وغيرهم من الشيوخ والعلماء الأعلام.

وفي القرن التاسع الهجري نقرأ رحلة جديدة للعلامة عبدالرحمن بن خلدون (٧٣٢هـ - ٨٠٨هـ)، عنوانها: **التعريف بابن خلدون وبرحلته شرقًا وغربًا**، وهي موجودة في القسم الأخير من تاريخه، وقد سرد ابن خلدون أحداث رحلاته العديدة في الأندلس، وتلمسان، وتونس، ومصر، والشام، والحجاز.

وأثناء القرن التاسع الهجري قام العالم أبو عبدالله محمد بن عبدالكريم المغيلي (ت ٩٠٩هـ) برحلة إلى الحج، منطلقًا من بلاد التكرور، فمر على برقة وأسيوط، وهناك تعرَّف إلى الشيخ جلال الدين الأسيوطي، فكانت بينهما مناظرات في الحديث والمنطق، ثم زار مكة والمدينة وأدى فريضة الحج. وفي المدينة أنتج قصيدته الميمية المشهورة في مدح الرسول الكريم عليه أفضل الصلوات والتسليم، ومطلعها:

بشراك يا قلب هذا سيد الأمم ... وهذه حضرة المختار في الحرم
وهذه الروضة الغرَّاء ظاهرة ... وهذه القبة الخضراء كالعلمِ
ومنبر المصطفى الهادي وحجرته ... وصحبه وبقيع دائر بهمِ

والمؤسف أن المغيلي لم يدوّن أخبار رحلته في كتاب مستقل، لكننا نستطيع قراءة بعض أخبارها في كتاب **الطرائد والتلائد في معرفة مناقب الوالدة والوالد** لمحمد بن سيد المختار الكنتي، حيث إن والد المؤلف، وهو سيد عمر الشيخ الكنتي، كان مرافقًا للمغيلي في رحلته[٧].

وكذلك وصف أبو العباس أحمد المقَّري التلمساني (٩٨٦هـ- ١٠٤١هـ) أحداث هجرته إلى المشرق في أجزاء من كتبه؛ مثل **نفح الطيب**، و**أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**، كما أفرد كتابًا كاملاً[٨] للحديث عن أهم رحلاته في المشرق والمغرب، وكان خاتمة التأليف عنده، صوّر فيه جوانب مهمة من حياة

المقَّري الشخصـيّة والعلميّة تصويرًا دقيقًا، منذ وجوده في بلدته الأولى تلمسان، إلى آخر مراحل عمره، كما أفادنا بأحداث تنقلاته عبر محطات العالم الإسلامي الواسـع، وعرّفنا بالصـلات التي عقدها الرحالة في المشـرق والمغرب مع العلماء والأدباء والحكّام، وبما جرى بينه وبينهم من لقاءات، وبالمراسلات المتبادلة فيما بينهم؛ فقـد كان للمقَّري اتصـالات بأبرز أدباء المغرب وعلمائـه؛ كأبي عبدالله محمّد بن أحمد الفاسـي، وعلي بن أحمد الفاسـي، الشـهير بالشامي، وأبي بكر السّنوسـي المرّاكشي، ومحمّد بن باديس القسـنطيني، وسعيد قدّورة الجزائري، وتاج العارفين العثماني التّونسي[٩].

وكان للمقَّري اتصال بكثير من علماء المشرق في مصر والحرمين الشريفين ودمشق والقدس؛ منهم: عبدالرحمن بن يحيى بن محمّد الملاّح المصري، وحنيف الدّين بن عابد الرحمن بن عيسـى المكّي، وعبدالرحمن بن مرشد المكّي، ومحمّد ابن القاضـي الكريمي، ويحيى المحاسـني، وأحمد بن شاهين، ومحمود بن أحمد العمّاري الخليلي، ... وغيرهم من العلماء والأدباء[١٠].

ونصـل إلى رحلة أحمـد بن عمار الجزائري المسـماة **نحلة اللبيب بأخبار الرّحلة إلى الحبيب**[١١] وهـي التي تنتمي إلـى الرحلات الحجازيـة المؤلَّفة في القرن الثاني عشر الهجري. وعلى الرغم من شهرة الرحلة، إلاّ أن المؤسف أن ما حفظه الزمن منها هو نبذة من مقدّمتها المطوّلة، وهي ما سـيكون مثار التفصيل في هذا البحث.

٢. التعريف بأحمد بن عمّار:

يـكاد ابـن عمـار أن يكـون مجهـولاً لـدى جمهـور القـراء، ولا يعـرف عنه المتخصصـون في تاريخ الأدب العربي إلا قليلاً، وعذرهم أن ما وصـل عن أخباره وعـن مؤلفاته قليل، متوزع في عدد من معاجم الأعلام والمؤلفين، وفهارس الكتب والمكتبات.

هو أبو العبّاس أحمد بن عمّار الجزائري، من أصل أندلسي، مولود حوالي سنة (١١١٩هـ-١٧٠٧م)[١٢] بمدينة الجزائر، التي نشأ بها، وتعلّم على أكابر شيوخها؛ أمثال الشّيخ أحمد بن محمّد الورززي، والأديب محمد بن علي الجزائري[١٣]. وبعد مدة طويلة عاش أثناءها بالجزائر ارتحل إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، وطلب العلم، وذلك عام (١١٦٦هـ- ١٧٥٢م) ثم عاد إلى الجزائر، وتولّى مناصب الفتوى على المذهب المالكي.

رجع أحمد بن عمّار مرّة أخرى في رحلة ثانية إلى مكة المكرمة عام (١١٧٢هـ-١٧٦٢م) حيث جاور بها مدّة ثم عاد إلى الجزائر، وفيها تولّى منصب الفتوى على المذهب المالكي سنة (١١٨٠هـ- ١٧٦٦م)، واستمر في أداء هذه الوظيفة إلى غاية سنة (١١٨٤هـ- ١٧٧٠م)، ثم سافر إلى تونس سنة (١١٩٥هـ- ١٧٨٠م) بقصد الاستيطان بها، غير أنّه رجع إلى الجزائر مرّة أخرى، ثم رحل منها إلى مكة مرّة ثالثة، حيث بقي هناك، إلى أن توفي بعد سنة (١٢٠٥هـ- ١٧٩١م)، رحمه الله تعالى.

وقد سمحت الرّحلات المتكررة لابن عمّار الجزائري نحو الحجاز خاصة باشتهاره بين النّاس والعلماء الذين اتّصل بهم، فاستفاد وأفاد، وكان من بين الذين تتلمذ عليهم: الشيخ خليل المغربي في مسجد الحسين بالقاهرة، ومحمد الحفني المصري الذي روى عنه الحديث[١٤]. أما تلامذته فهم كثر؛ أهمهم: الحسين الورثلاني الذي لقيه بمصر[١٥]، وأبو راس الناصر الجزائري، الذي قابل ابن عمار في تونس[١٦]، وإبراهيم السيالة التونسي صاحب كتاب **مباسم الأزهار ودوحة الأفكار**، وأحمد الغزال المغربي، وعمر بن عبدالكريم المكي، وخليل المرادي الشّامي، الذي أجازه ابن عمار في أواخر حياته سنة ١٢٠٥هـ[١٧].

نبغ ابن عمار في علوم كثيرة؛ كالفقه والتفسير، وعلوم الحديث، واللغة، كما تميز في كتابة الشعر والنثر، متأثرًا في شعره بلسان الدين ابن الخطيب، وابن زمرك، وفي نثره بالفتح بن خاقان[١٨]، وهو ما عبّر عنه شيخه محمد بن علي

الجزائري مادحًا إياه في قصيدة مطولة قائلاً:

وبحضرتي الفذُّ الذي بهر الورى	أدبًا وأخرسهم بسحر بيانه
فهو ابنُ عمار الذي لو أنه	لاقى ابنَ عمار لغص بشانه
خدم القريض بساطه وأباحه	أن يجتني الأزهار من بستانه
وكأنما زهر الكواكب نثره	في الحسن أو كالروض في نيسانه
جالسته ولزمته فوجدته	ملَك القلوب بفعله ولسانه
ما كل من صاغ القريض يُجيده	معنى ويصرفه على أوزانه
إلا ابن عمار فحسبك من فتى	زان النشيد وعُدَّ في أعيانه[١٩]

ومدحه ابن علي كذلك نثرًا بقوله: «افخر أبا العباس بما أوتيته من الصناعة وحُق لك الفخر، وفجر من ينابيع فكرك ما يتفجر حنانة له الصخر، وينسى ما هتفت به الخنساء في مدح أخيها صخر، فشعرك اليوم لباب اللباب، وأنت المعوَّل عليه في هذا الباب»[٢٠].

وقد عرّفه معاصره عبدالرزاق بن حمادوش الجزائري بأنّه: «الأديب الأريب، ذو القلب النّاطق، والقول الصّادق»[٢١]. وأبدع تلميذه محمد أبو راس الناصر الجزائري في مدحه قائلاً: «العالم المشارك، في أنواع العلوم الدارك، الواسع الرواية، الحسن الدراية.. الجليل القدر، المستوعي لما يفوت الحصر، سلس اللسان والعبارة، مليح التصريح والإشارة، أمجد النظار، السيد أحمد بن عمار»[٢٢]، ولقَّبه أبو راس كذلك بشيخ الإسلام، ومدحه بأبيات أعلت من شأن علمه وأدبه[٢٣]، وترجم له أبو القاسم الحفناوي في كتابه **تعريف الخلف**، المطبوع لأول مرة بالجزائر عام ١٩٠٩م، بقوله: «كان من نوابغ عصره، وأفاضل مصره، وهبه الله حظاً من سيلان القلم وطلاقة اللّسان.. وبديهة في البيان والمعاني،.. وذكر في المشارق والمغارب، وأغنى أهله عن الإطراء وتلفيق المناقب»[٢٤].

ولابن عمّار مساهمة في التّأليف، نذكر منها: **لواء النّصر في فضلاء العصر**

في موضوع التراجم، و**ديوان شعر في المدائح النبويّة**، وثبت بعنوان **منتخب الأسانيد في وصل الأجزاء والمصنفات والمسانيد**. والكتب الثلاثة مفقودة.

وأخبرنا أبو راس بوضع ابن عمار حاشية على **شرح الشفا** لأبي العباس أحمد الخفاجي المتوفى سنة ١٠٩٦هـ- ١٦٥٩م، نعتها أبو راس بقوله: «حاشية عاطرة الأنسام، قبلتها ثغورُ أزهار العلوم في افترار وابتسام، المنظومة في سلك التحقيق عقدًا مكنونًا، الجارية بفنون الإفادة في بحورها فلكًا مشحونًا، فتقلدت بعلومها كاعبُ الدنيا وتحلت، وألقت إليها أرضُ البلاغة ما فيها وتخلت»[٢٥]. وكذلك نقل أبو راس آراء ابن عمار في تفسير الآية ٢٩ من سورة المائدة: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ﴾.

واعتمادًا على ما عدّده تلميذ ابن عمار إبراهيم السيالة، نضيف كتابه **تاريخ في سيرة علي باشا**، باي تونس، و**رسالة في مسألة وقف**،المطبوعة ضمن كتاب **المنح الإلهية في طمس الضلالة الوهابية** لإسماعيل التميمي[٢٦].

وله مجموعة من الإجازات والتقاريظ، أشهرها إجازته لخليل المرادي، وتقريظ نثرًا وشعرًا على كتاب ابن حمادوش الجزائري **الدرر على المختصر في المنطق**[٢٧]، وقام أبو القاسم سعد الله بتحقيق كتاب آخر لابن عمار يضم مجموعة من الشعر المغاربي، يرجع إلى القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين، انتخبه ابن عمار، معتمدًا على مجموع محمد بن علي الجزائري[٢٨].

٣. رحلة ابن عمار:

تتوفر المكتبة الوطنية بالجزائر على نسخة مخطوطة تحت رقم: ٢٧٥٧، أهداها حَفَدة ابن عمار إلى المكتبة، وهي مصنفة ضمن قسم الرحلات باللغة العربية، تحمل عنوانًا مكتوبًا بالأزرق كما يلي: «من رحلة سيدي أحمد بن عمار الجزايري»، وهي تبدأ بالبسملة ثم قوله: «الحمد لله هادي السبيل ومانح التيسير ومرشد الضليل».. وتنتهي بأبيات مكتوب على جانبها عبارة: «من قول المتنبي»،

والأبيات هي[٢٩]:

وعجيب من عاشق غلب الوجد	عليه فنازعتها الأمانه
فسألتني على محاسنه اللاتي	أراني في ضمها إحسانه
بقواف سيارة حدّثت عنها	القول في سلاسة ومتانه
يرجع الضر معجمًا من معانيها	كأني بها عقدة جمانه

ويبلغ عدد أوراق المخطوط سبعًا وتسعين (٩٧) ورقة، من خمس وعشرين (٢٥) سطرًا في الصفحة الواحدة، قياس أوراقه: (٢١سم) × (١٥,٢سم)، كتب المخطوط بخط مغربي، ومداد أسود، به تسفير بالجلد، وآثار أرَضة ورطوبة وترميم، لكن النسخة حالتها حسنة على العموم، غير أنها مبتورة الآخر.

وقد تولت الإدارة الفرنسية في أوائل القرن التاسع عشر طبع العديد من الكتب والمخطوطات الجزائرية والعربية في مختلف العلوم والفنون، بمطبعة بيير فونتانة، ومنها طبع نبذة من مقدمة **نحلة اللبيب** لابن عمار عام ١٣٢٠هـ-١٩٠٢م، اعتمادًا على نسخة مخطوطة واحدة بقلم أحد تلامذة ابن عمار، بها بياض في بعض المواضع، لكنها مدعَّمة ببعض الهوامش مكتوبة بخط المؤلف[٣٠]، ولعلها نسخة أخرى تختلف عن نسخة المكتبة الوطنية[٣١]. ولا تحمل النسخة المطبوعة أي معلومة تخص مصحح الكتاب، وقد رجح الباحث محمد حاج صدوق، وأكد بعده أبو القاسم سعد الله، أن محمد بن أبي شنب هو مقدمها[٣٢]، وهو رأي قوي؛ لأن ابن أبي شنب كان من المتعلمين الجزائريين في تلك الفترة، الذين تولوا تصحيح كتب التراث وتحقيقها بطلب من الحكومة الفرنسية، كما أن ابن أبي شنب من الذين اهتموا بالنصوص الرحلية، وهو ما أدى به إلى ترجمة وشرح قصيدة **رحلة من تلمسان إلى مكة** لمحمد بن مسايب عام ١٩٠٢م[٣٣]، وتصحيح **رحلة الورثلاني** بعد ذلك سنة ١٣٢٦هـ-١٩٠٨م[٣٤].

وجاء ذكر خبر الرحلة وتأليفها أولاً من قبل معاصر له، وهو أبو راس الناصر المعسكري، الذي أثبت لنا مسألة سفره إلى الحجاز، ثم تدوينه لأخبار رحلته؛ حيث قال عنه: «صاحب الرحلة الجمة الفوائد، حلوة الموائد، عذبة الموارد»[٣٥]. ولعل هذا القول يؤكد مذهب مصحِّح الرحلة من أن ابن عمار قد أتم كتابة رحلته، وهي ربما موجودة بتونس، أو مصر، أو الحجاز؛ لأنه أقام بهذه الأماكن سنوات عدة، وكان بوسع أبي راس الناصر أن يقول: صاحب مقدمة في الرحلة بدلاً من أن يقول: صاحب الرحلة.

وأخبر أبو القاسم الحفناوي عن رحلته المدونة المطبوعة، فقال: «كفى به تعريفًا ما طبعته الحكومة من كتابه **نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب**؛ إذ فيه من زواهر منظومه ما يهدي ناظرَه إلى شموس علومه وأنوار فهومه»[٣٦]، وأتبع الحفناوي مدحه هذا بنموذج من نثر ابن عمار المقتطف من الرحلة[٣٧].

٤. مضمون الرحلة:

عندما أراد ابن عمار تدوين رحلته الحجازية، قرر أن تكون كتابًا من الحجم الكبير، ولم ينو تأليف كتاب موجز، يسرد أخبار سفره إلى المشرق، وأعمال حجه وعودته بعد ذلك إلى الجزائر، ولهذا جاءت مقدمة رحلته، بل نبذة من المقدمة في مائتين وأربع وخمسين صفحة، وقد صرّح ابن عمّار بنيّته في إكمال كتابه، بإفراد جزءٍ خاص لوصف الرّحلة وسرد ما يعرض له من أحداث في الذّهاب والإياب، سمّاه الغرض المقصود، وهو يأتي بعد المقدّمة، في حين خصّص جزءًا آخر سمّاه خاتمة للحديث عن الوصول وما ينشأ عنه، يقول ابن عمّار فيه: «ورتّبتها على مقدّمة حاتمة، وغرض مقصود وخاتمة. فأمّا المقدّمة ففي ذكر ما أنتجه العزم وتقدّم على الارتحال، وأمّا الغرض المقصود ففي ما يحدثه السّفر إلى الإياب وحطّ الرّحال، وأمّا الخاتمة ففي ما نشأ عن ذلك بعد السّكون وانضم إليه»[٣٨].

إن مـا يميـز النبذة من مقدمة رحلة ابن عمار هو طابعها الأدبيّ الصـرف، فهي تضـم قطعاً من الشـعر والنثر، منذ البدء وحتى الختـام؛ إذ جاءت نهايتها بقولـه: «مـا قيل في البـان وهو الخلاف لابن العفيـف»[٣٩]. وهو مـا يفيد أن نقل المنتخبات الشعرية حول الأزهار ما يزال متواصلاً.

واختـار ابـن عمار أن يفتتح رحلته بذكر سـبب رحلته إلـى الحجاز، وكذلك دواعي تدوينه لهذه الرّحلة، فأمّا سـبب السّـفر، فهو لغرض أداء فريضـة الحجّ المباركـة وزيـارة قبر الرّسـول الأعظم ﷺ، لما لهذا العمل مـن أجر عظيم كما في الأثر الذي نقله ابن عمار: .. من زار قبري بالمدينة حلّت له شفاعتي يوم القيّامة.. والقائـل ومـا خاب من يؤمّه، مـن حجّ هذا البيت فلم يرفث ولم يفسـق خرج من ذنوبـه كيوم ولدتـه أمّه[٤٠] فكان العزم كمـا يقول ابن عمّار والنّية على السـفر، وهو في أحرّ شـوق للانطلاق نحو غايته، وفي مثل هذه الحالة النفسيّة القلقة كان ينتج عدّة مقطعات شعريّة وموشحات في ذكر الحجاز، والشوق إليه، ومدح النبي محمّد ﷺ. كلّ ذلك من أثر الرّحلة ويدخل في سـياقها؛ فقال: «فأحببت أن أدخل ذلـك في خبر الرّحلـة، تتميماً للفائدة، وزيادة في النّحلة»[٤١]. وبهذا نفهم أنّ ابن عمار قد قصـد بالرّحلة إلى الحجاز تحصـيل الثواب والغفـران من اللّه تعالى، وقصـد بتدوينها إفادة النّاس، بذكر أخبـار الرّحلة إلى الحجاز، وإتمام الفائدة بإثبات ما قاله هو، أو غيره من الشعر في مناقب الحجاز قبل سفره، وعند الرّجوع منه والاستقرار في الوطن.

ويؤرخ ابن عمار، كغيره من كتاب الرحلات، لتاريخ عزمه على السفر قائلاً: «.. إني عزمت على الرّحلة إلى الحجاز، عزمًا نسخت حقيقته المجاز، أوائل سنة ١١٦٦ ست وستين ومائة وألف»[٤٢].

ويصـف بعد ذلـك حالته المتوترة المتشـوقة إلى الشـروع في الرحلة، وتحقق زيارتـه لبـلاد الحرمين، فيقـول: «.. لما دعتني الأشـواق، النافقة الأسـواق، إلى

مشـاهدة الآثار، والأخذ من الرّاحـة بالثار، وأن أهجر الأهل والوطن، وأضـرب في عراض البيـد بعطـن»[٤٣]. وفي موضـع آخر يقـول: «.. لَمَّا انْبرى هـذا العزم وانْبرم، والْتظى لاعج الشوق وانْضرم، وباح الوجد بالسّرّ المكتوم، وصاح حيّ على الوصل القضاء المحتوم، شرعت إذ ذاك في المقصود، وأعددت طلسم ذاك الكنز المرصود .. وإذ فقدت لذيذي العيش والوسن، وخلعت في ميدان الهيمان الرسن، وناب الذكر عن القوت، وأشبه الصبر حجر الياقوت»[٤٤].

ويعـد هـذه الموضـوع مـن الثيمـات البـارزة في أدب الرحـلات عامـة، وفي الرحلات المغاربية إلى الحجاز؛ إذ يثير بُعد بلاد الحرمين الشـريفين عن المغرب الإسـلامي، وكذلك التعلـق بالثقافة الدينية التي تجعل مـن تحقق إنجاز الحج، والاتصـال بالأماكن الشـريفة أمرًا عزيزًا على نفس الرحالـة، وكثيرًا ما يتناول الكاتب ما عرض له من مشـاعر قلق واضـطراب نفسـيين قبل مرحلة الانطلاق، وقـد يعبر الكاتـب فيما بعد وأثناء العودة عن إحساسـه بالحنين إلى وطنه، رغم تردده في ترك الحجاز.

وتأثرًا بأسـلوب الإسـهاب والتطويل، وما ينجرُّ عنه من استطراد في الكتابة الشـائع في عصـره، لم يتوقـف ابـن عمار عنـد ذكر شـوقه فقط، وإنمـا آثر أن يسترسـل في تسـجيل ما أنتجته قريحته في مضـمون الشـوق إلى الديار المقدسة من أدب، نثرًا وشـعرًا، واختيار نماذج مماثلة من شعر الشعراء القدامى كمهيار الديلمي، ولسـان الدين بن الخطيب، وعند هذه المرحلة السـردية يجرّه الحديث إلـى التعريف بعادات أهـل الجزائر في الاحتفال بالمولد النبوي، ويخبر بإنشـائه قصـيدة جديدة في شـهر ربيع الأول مـن عام عزمه على الرحلـة، ثم يعرّف بها قراءه كاملة، ويضيف عليها قصيدة مولدية عنوانها: نلت المرام لأحمد المانجلاتي شـاعر مدينة الجزائر، ثم قصـيدة هاج الغرام لمحمد بـن علي الجزائري خلف المانجلاتي في هذه الصناعة.

واستطرد ابن عمار في القسم الثاني من مقدمته للترجمة للشاعر ابن علي، ونقل ما كتبه عنه في كتابه **لواء النصر في فضلاء العصر**، وذلك في إحدى وأربعين صفحة، وبيّن ابنُ عمّار سبب جعله ابن علي في صدر الشعراء والأدباء الذين ترجم لهم من معاصريه، ولم يكتف بهذا بل نقل ترجمة لابن علي من رحلة الجامعي[٤٥]، ليأخذه مجرى الحديث إلى نقل قصائد لابن زمرك الأندلسي، كون محمد بن علي ظهر متأثرًا به في بعض شعره، وينهي ابن عمار هذا القسم من نبذته بنقل جزء من قصيدة له قالها خلال إحدى النزهات مع أصحابه بروضة غنَّاء، والقصيدة في وصف الحديقة ومدح رفاقه، الذين قال عنهم: (من بحر الكامل)

مع فتية متعاقدين على الوفا ... فكأنهم في منظر الدنيا غررْ
من كل مشتمل ببرد مروءة ... أو كل ملتحف بثوب من خفرْ
الروض يهوى منهمُ أخلاقهم ... والبدر يعشق منهمُ حسن الصورْ[٤٦]

ويطيل ابن عمار في القسم الثالث من رحلته في مسألة الاحتفال بالمولد النبوي، وأحداث مولد النبي الأعظم عليه الصلاة والسلام، وفضل الليالي المباركة: المولد، والقدر، والمعراج، وقد أخذ الحديث طابعًا دينيًا، لأنه نقل نصوصًا مختلفة، ونقولاً متعددة تناقش قضايا فقهية كثيرة، كما سرد أخبارًا تاريخية تتعلق بفترة ميلاد الرسول عليه أفضل الصلوات والتسليم، ونبوته، وكراماته ومعجزاته، وغزوه المشركين، لينهي بنقل أفضل القصائد التي نظمت في مدح الرسول الكريم ﷺ، ومنها قصيدة الشقراطيسية المشهورة[٤٧].

وفي القسم الرابع ينتقل ابن عمار إلى تقديم مختارات من الشعر الديني، والمديح النبوي الذي نظم في عهد السلطان أبي حمو الثاني[٤٨] أثناء الاحتفال بالمولد في السنوات الهجرية: (٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٣، ٧٦٨، ٧٧٠، ٧٧١)، ويظهر ابن عمار عجز النبذة عن استيعاب كل الشعر الذي نظم في حضرة السلطان،

فيتوقف هنا ليستطرد في ذكر فضائل الملك أبي حمو نقلاً عن أبي زكرياء يحيى ابن خلدون ومن كتابه: **بغية الرواد في أخبار بني عبد الواد وأيام أبي حمو الشامخة الأطواد**، ويجد ابن عمار من الضرورة في هذا الموضع أن يعرِّف بيحيى ابن خلدون، ويظهر صلة الأخوَّة بينه وبين ابن خلدون صاحب التاريخ الكبير، كما لقَّبه ابن عمار، ويعرِّف ببعض من شعره الذي أنشده بطلب من السلطان في المديح، وموضوع المفاضلة بين السيف والقلم، ووصف ساعات الليل.

ويرجع ابن عمار للتعريف بأبي حمو، فيذكر فضله في تشجيع العلم، وإنصاف العلماء الكبار، ولذلك يترجم لأحد الفقهاء في عصر أبي حمو المعروف بالشريف التلمساني[٤٩]، وبعد ذلك يرجع إلى سرد أخبار السلطان ليظهر اعتناءه بالشعر والشعراء، وتأليفه في موضوع السياسة، وكذلك تبيان مدى كرمه مع أهل الأندلس، وهو ما جعل لسان الدين بن الخطيب يراسله ويمدحه لهذا الفعل، وقد اعتمد ابن عمار في نقل هذا المخاطبات على كتاب يحيى بن خلدون **بغية الرواد**، ويسترسل ابن عمار في أخذه عن ابن خلدون بعض ما قيل عن أبي حمو الثاني، من شعر ونثر، وقليل من الأخبار السياسية المتعلقة بحكمه، وجهاده، واستشهاده في إحدى المعارك عام ٧٩١هـ.

ويتحول إلى سرد أخبار ولي عهده يوسف بن تاشفين[٥٠]، وصفاته، وأعماله الجليلة، وينقل في البداية شعرًا في مدحه، ورثاء والده للشاعر محمد القيسي[٥١]، ويتبع هذا بما قيل في مدح سلطان بني الأحمر في الأندلس أبي عبدالله محمد، ويفيد بأحكام نقدية تبرهن على تأثر الشعراء، وأخذ بعضهم من بعض، فيقدم ابن عمار نماذج من أخذ ابن زمرك عن ابن الرومي وأبي تمام، وأخذ المتنبي عن أبي تمام، وأخذ أبي تمام عن بشار، .. وغيره، ولأجل ذلك تأتي المختارات الشعرية في هذا القسم من الرحلة متنوعة الأغراض؛ فمنها شعر المدح، والنسيب، والهجاء، والوصف.

وبـدا ابن عمار في آخـر النبذة من رحلته مهتمًا بالشـعر الذي قيل في الورد والنرجـس، مسـتطرفًا مثل هذا الشـعر، كما نقـل أخبارًا ومعلومـات عن زراعة الزهور، وطرق اسـتخراج العطور منها، على حسـب عـادات العرب، وأورد ذلك تحـت عنـوان: فائدة، وأتبع هذه الفائـدة بنبذة أخرى حول الشـعر الذي قيل في مختلف أنواع الأزهار كالبنفسـج، والياسـمين، والسوسـن، معتـبرًا ذلك مدعاة للأُنـس ومبعـدة للهم، أي إن المؤلف قصـد من نقلـه مثل هذا الشـعر في رحلته الترويح عن نفس القارئ.

٥. قيم الرحلة وفوائدها:

- القيمة الأدبية للرحلة:

تزخـر رحلة ابن عمـار بما قدمه مؤلفها من نماذج شـعرية دينيـة، رأى أن نظمهـا في الجزائـر كان نـزرًا قليلاً في عصـره وعصـر مـن قبله، كمـا يعرفنا بغرض التشـوق للحجاز، الذي نظمه الشـعراء الجزائريـون وغير الجزائريين، وأتحفنا زيادة على ذلك بمختارات من الشعر العربي القديم، مركزًا على الشعر الأندلسـي، كونه تأثر بالمدرسة الأدبية الأندلسية، وربما يعود هذا لكونه من أصل أندلسي كان يحس بالحنين إليه، وبالفخر والاعتزاز بتراثه، وقد كانت اختياراته الشعرية متنوعة؛ طالت شعر المدح، والغزل، وشعر الوصف والطبيعة، وتعرض في آخر النبذة إلى الشـعر العربي الذي قيل في المفاضـلة بـين الورد والنرجس، وهو كثير ككثرة الشعر الذي نظم: في مفاخرة السيف والقلم، والبخل والكرم، ومصر والشام، والشـرق والغرب، والعرب والعجم، والنثر والنظم، والجواري والمردان، إضـافة إلـى مـا وجد في الأدب العربي من شـعر في المفاضـلة بين مكـة والمدينة المشرفتين، والبيض والسود، والليل والنهار، والسماء والأرض، والشباب والشيب.

وباطلاعنـا على ما كتبه ابن عمار في رحلته، نسـتطيع التعرف إلى أسـلوب الكتابة والخصـائص الفنية للشعر والنثر في القرن الثاني عشر، ونستطيع تلمُّس

آثار الصنعة، والكَلَف باستخدام السجع وألوان البديع المختلفة في أسلوب ابن عمار، مثل الذي نجده في افتتاحية الكتابة، وفي نصوص التراجم للأعلام، ومدح الملوك والأعيان، أو في المقاطع التعبيرية، ومثال الافتتاحية التقليدية التي يستخدم فيها الكُتَّاب عادة الضمير الغائب، ويشيعون فيها عبارات التواضع والتذلُّل إلى الله تعالى، وربما ينسبون العيب والنقصان إلى ما كتبوه، يقول ابن عمار: «وبعدُ فيقول العبد الفقير، المضطر لرحمة ربّه المولى القدير، مثقل الظهر بالأوزار، الراجي عفوه سبحانه أحمد بن عمار، ألحفه الله رضاه، وأتحفه القرب من مرتضاه..»[٥٢].

وتتردد في الكتابات التقليدية عبارات المدح والتبجيل، وصيغ التفضيل، وجعل الممدوح في مراتب عليا عند الترجمة للأعلام، وهو ما نجده عند ابن عمار؛ كقوله أثناء ترجمته للشاعر محمّد بن علي الجزائري: «جاريتَ فجليت، ورميتَ فأصميْتَ، وعظت فأسكتَّ الحسن، وتكلمت في الوصايا والحكم، فجريت خلف لقمان طلق الرسن، وذكرت الرياض والحياض ففقت أبا إسحاق، وكسوت بدر إجادته المحاق، ووصفت المباني والبرك، فما أبقى وصفك لابن حمديس ولا ترك...»[٥٣].

ويوظف ابن عمار عبارات تأثيرية، تظهر مدى شوقه إلى الحجاز، ويرق أسلوبه، ويسمو في هذه النصوص، وتظهر في مثل هذه الأساليب كَلف ابن عمار بالتقديم والتأخير، والصنعة اللفظية، ويظهر في قوله مثلاً: «وباح الوجد بالسر المكتوم، وصاح حي على الوصل القضاء المحتوم»[٥٤]، وقوله أيضًا: «وأنا أضرع إلى من لا يخيب أمل الآملين، ولا يرد صفرًا أكُفَّ السائلين»[٥٥].

ويبدع ابن عمار في مجازاته وتشبيهاته، فها هو يشبه راحة جسده والبقاء في الوطن بالإنسان العدو، الذي يقرر الثأر منه بالسفر، والتعب فيه حين قوله مما يعد استعارة مكنية: «لما دعتني الأشواق .. إلى مشاهدة الآثار، والأخذ من الراحة

بالثأر». كما شبَّه السهر ليلاً بالبعير الممتطى للوصول إلى الحجاز، فيقول: «وامتطى ظهر السهر والسرى». ونجد التشبيه الصريح في قوله: «وأشبه الصبر حجر الياقوت». أما البديع فمن نماذجه الجناس التام في: (السفر، سفر)، والجناس الناقص في قوله: (الأشواق، الأسواق)، (الكرى، السرى)، (داعيها، ساعيها)، (باح، صاح)، (المقصود، المرصود)، (الوسن، الرسن)، (الياقوت، القوت)، (الرحلة، النحلة)، والطباق في: (الوصل، الفصل)، (الصدر، العجز)، (البصر، السمع)، (الجسد، الروح)، والمقابلة في: (أقدمت المسرات وأحجمت التروح).

- **القيمة الدّينيّة للرّحلة:**

يفصّل ابن عمار في بداية مقدمة رحلته في الحكم الديني للحج، ثم زيارة قبر الرسول عليه أفضل الصلوات والتسليم، فيعرض آيات من القرآن الكريم، وأحاديث نبوية، وأقوالاً فقهية منقولة من كتب علماء الحديث والتفسير؛ ككتاب **المواهب اللدنية بالمنح المحمدية** لأحمد بن محمد القسطلاني، وكتابي **الأحكام الوسطى والصغرى** لأبي محمد عبدالحق عبدالرحمن الإشبيلي، و**المعجم الكبير** لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، و**إحياء علوم الدين** لأبي حامد الغزالي الطوسي،.. وغيرهم، ليصل ابن عمار إلى تبيان مكانة الحج، وأهمية زيارة مسجد النبي الأكرم بالمدينة المنورة، مستشهدًا بأبيات شعرية للرحالة محمد بن جبير الأندلسي، والقاضي عياض، وأبي محمد عبدالله البسكري، وابن سهل الإشبيلي.

ويقدم ابن عمار كذلك فوائد دينية تخص حكم الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، والتنبيه على بعض التصرفات والعادات المسيئة لهذا الاحتفال، فأخبر نقلاً عن ابن حجر المكي في كتابه **تمام النعمة الكبرى على العالم بسيد ولد آدم**، أن علماء المذاهب الأربعة في الحجاز، قد قاموا في مكة بمنع النساء من

الخروج إلى المسجد الحرام في يوم المولد، وأضاف زين الدين جعفر البرزنجي صاحب **عقد الجوهر في مولد النبي الأزهر** أنه قام بمنع الاختلاط بالمدينة المنورة في ليالي المولد والمعراج، لكن العلماء ومعهم البرزنجي لاقوا معارضة شديدة من علماء آخرين، وساعدهم الفسقة على إبقاء هذه العادات حسب قول ابن حجر. وقد وافق البرزنجي ابن حجر في تحريم الاختلاط، وفرَّق بين الاختلاط في موسم الحج مثلما يحدث في عرفات ومنى والطواف، الذي يعد من أركان الحج، حيث يجب اجتماع الناس كافة في تلك المواضع، دون إباحة التزين والتطيب والتبرج، وبين الاختلاط في الموالد، والمواسم والزيارات التي ليست واجبة، أو مفروضة. ونقل البرزنجي عن ابن حجر تقبيحه لإيقاد الشموع والقمر يتلألأ في ليالي المولد، لكن ابن عمار وإن وافق البرزنجي وابن حجر في تقبيح الاختلاط، فإنه استحسن إيقاد الشموع في ليلة المولد، وهي العادة التي تعوّد عليها أهل الجزائر، معتبرًا هذه العادة بدعة حسنة، تدخل السرور على قلوب الأطفال. وحتى يقوي رأيه أدرج أقوال علماء أباحوا هذه العادة، كابن عباد، والرصاع. وختم ابن عمار كلامه حول حكم الاحتفال بالمولد بنتيجة مفادها: جواز كل ما يزداد به الفرح والسرور بهذه الليلة المباركة، التي ليست في فضلها مشاركة، ويقصد به التعظيم لها من أنواع المباحات التي لم ينه الشرع عنها، كإظهار الزينة، والتجمل بالملابس الفاخرة الثمينة، وتحسين الهيئة واستعمال الطيب، مما يخطب له على منبر الإباحة خطيب[٥٦].

وتعرّض أحمد بن عمّار إلى تحديد يوم ولادة الرسول ﷺ، وكل ما صحبها من كرامات وعلامات، وأتبعها برأيه الخاص في الموضوع، كما نقل الأقوال المتباينة في أي ليلة أفضل: ليلة المولد؟ أم ليلة القدر؟ أم ليلة الإسراء؟.

- القيمة الاجتماعية للرّحلة:

تتلخص القيمة الاجتماعية للرحلة في حديث كاتبها ابن عمار عن عادات

أهل الجزائر في لبس الحلل الزّاهية النّظيفة تعظيماً للمولد النّبويّ، إذ إنّ المولد أصبح عيداً من أعياد الإسلام عندهم، مقتدين في هذا بإخوانهم من المسلمين في الحجاز، ومصر والشام والهند وإفريقية (تونس) والمغرب والأندلس، وكذلك تعوّد أهل الجزائر حضور الاحتفالات، والتّجمّعات في المساجد والمكاتب والمزارات، حيث تنشد فيها قصائد المولديّات والموشّحات، مع إيقاد الشّموع ليلاً في الشّوارع والبيوت، زيادة في الاحتفاء بهذا الموسم.

وقد رجع ابن عمار بنا إلى القرن الثامن الهجري، للحديث عن الموالد النبوية في تلمسان، وما كان يجري أثناءها من احتفالات، فأخبرنا نقلاً عن كتابي **راح الأرواح**[٥٧] وكتاب **نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان**[٥٨] للحافظ التنسي، وكتاب **بغية الرواد**.. ليحيى بن خلدون، من أنه في عهد السلطان أبي حمو كانت تخصص ساحة قصره بمشور تلمسان للاحتفال، ويدعى إليها العام والخاص، ونقل ما وصف من أدوات كثيرة مصنعة، كانت تستخدم أثناء ليلة المولد؛ كالنمارق، والزرابي، والوسائد المطرزة بالخيط الذهبي، والشموع الضخمة الأسطوانية، ومباخر النحاس الأصفر المذهب، والساعة التي كان أبو حمو يمتلكها، وهي التي كانوا يدعونها «خزانة المنجانة»، وكانت مزخرفة، لها أبواب على حسب عدد ساعات الليل، تدق كلما مرت ساعة منه، ويفتح الباب في كل مرة لتخرج منه جارية مصورة في أحسن صورة، في يدها ورقة عليها نظم يشير إلى الوقت والساعة الجديدة التي حانت، يتسلَّمها منها السلطان، وهكذا حتى يحين وقت صلاة الصبح، فيقوم الملك لتأديتها ويتفرق الجمع.

ويشير ابن عمار إلى عادة التّنزّه في الحدائق والأماكن العامّة في أيّام الأعياد، والموالد، ومواسم الربيع، ويخبرنا بحدث تجوله مع الشاعر محمد بن علي في شوارع الجزائر، وتمتعه برؤية البحر، وتبادله الطرائف والشعر مع رفيقه.

وختامًا، نستطيع القول إن ابن عمار وإن أخل بطابع الكتابة الرحلية باستطراداته، ونقوله المتتابعة في المقدمة، مما جعل الرحلة تكبر، وربما الحظ في الحفاظ عليها كاملة يقل، إلا أنه قدم لنا صورة عاكسة للحياة ولطابع الكتابة في وقت. وفضلاً عن ذلك، فقد حفظ لنا القصائد الجزائرية المولدية، والمديحية، والحجازية، كما نقل نصوصًا من كتب تعد الآن في حكم الضياع؛ كنقله عن كتاب الحافظ التنسي **راح الأرواح**، و**رحلة الجامعي**.

الهوامش:

(*) المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة - الجزائر.

(١) ينظر عن هذه الرحلات وغيرها:

- ناصر عبدالرازق الموافي، **الرحلة في الأدب العربي حتى القرن الرابع الهجري**، دار النشر المصرية ومكتبة الوفاء، مصر، ط. ١، ١٩٩٥.
- شوقي ضيف، **الرحلات**، دار المعارف، مصر، ط.٤، ١٩٨٧.
- حسين محمد فهيم، **أدب الرحلات**، سلسلة عالم المعرفة، رقم: ١٣٨، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٩، ص ١٩.

(٢) حقق عبدالحفيظ منصور، الجزء الثاني من هذه الرحلة وهو الخاص بالقاهرة ومكة، ونشره بعنوان: **مستفاد الرحلة والاغتراب**، الدار العربية، ليبيا- تونس، ١٩٧٥.

(٣) عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر**، المكتب التجاري، بيروت، ط.١، ١٩٧١، ص١٨٠، يحيى ولد سيدي أحمد، **ببليوغرافيا تلمسان** ١٤٠٠عنوان، دار المعرفة، الجزائر، ص ١٥٥.

(٤) هو شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي التلمساني المالكي، ويعرف بابن مرزوق، ولد بتلمسان عام ٧١١هـ، وسمع بها العلوم، وأخذ بعد ذلك عن شيوخ مصر والشام والحجاز بعد رحلته إلى هذه الأقطار، واشتهر بكونه خادمًا للعارف الكبير أبي مدين الغوث.

(٥) مازالت الرحلة مخطوطة، الخزانة الحسنية، الرباط، رقم ٧٥٧٩.

(٦) عبدالحي بن عبدالكبير الكتاني، **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، المكتبة الجديدة الطالعة، ١٣٤٧هـ، ج١، ص ٢٠٩.

(٧) ينظر عن رحلة المغيلي: خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ج٦، ص ٢١٦.
عبدالله كرم، **الرحلات بإقليم توات**، ص ٥٣- ٥٥- ١٢٣- ١٢٥.

(٨) حقق محمد بن معمر الرحلة ، وطبعها بمكتبة الرشاد، الجزائر، سنة ٢٠٠٤.

(٩) أحمد المقَّري التلمساني، **رحلة في المشرق والمغرب**، مخ، المكتبة الوطنية، الجزائر، رقم: ٣١٩١.

(١٠) المصدر نفسه، الورقة، ١-٥، ١٦، ١٨، ٤-٥، ١٢-١٣.

(١١) أحمد بن عمار الجزائري، نبذة من الكتاب المسمى **نحلة اللبيب بأخبار الرّحلة إلى الحبيب**، مطبعة بيير فونتانة، الجزائر، ١٩٠٢، ص٢٧٠.

(١٢) أحمد بن عمّار، **مختارات مجهولة من الشعر العربي**، تقديم وتعليق، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط.١، ١٩٩٢، ص٢٤.

(١٣) عبدالرزّاق بن حمادوش، رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة، **لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال**، تح. أبو القاسم سعد الله، المكتبة الوطنية والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٣، ص ٢٦٠.

(١٤) أبو القاسم سعد الله، **تجارب في الأدب والرحلة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٣، ص ٦٥.

(١٥) الحسين بن محمد الورثيلاني، **نزهة الأنظار في فضل علم الأخبار**، المشهورة بالرحلة الورثيلانية، مطبعة بيير فونتانة، الجزائر، ١٩٠٨، ص٢٨٦.

(١٦) محمد أبو راس الجزائري، **فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته**، «**حياة أبي راس الذاتية والعلمية**»، تح. محمد بن عبدالكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٩٠، ص ٩٢.

(١٧) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري** (١٦-٢٠م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط.٢، ج٢، ١٩٨٥، ص- ص ٢٣٣- ٢٣٤.

وقد استطاع أبو القاسم سعد الله الوقوف على إجازة ابن عمار للمرادي اعتمادًا على نسخة منها بالمكتبة الظاهرية بدمشق، ينظر نص الإجازة وترجمة ابن عمار في كتاب **تجارب في الأدب والرحلة**، ص- ص ٦٣- ٧٠.

(١٨) يُنظر:

M. Hadj -Sadok. le mawlid d'après le mufti poète d'Alger. Ibn Ammar. Extrait des mélanges Louis Massignon. librairie d'Amérique et d'Orient. Institut Français de Damas. 1957.

(١٩) أحمد بن عمار، **نحلة اللبيب**، ص، ص ٤٢، ٤٣.

(٢٠) المصدر نفسه، ص ٥٨.

(٢١) عبدالرزاق بن حمادوش، **رحلة...**، ص ٢٦٠.

(٢٢) محمد أبو راس الجزائري، **فتح الإله**، ص ٩٢.

(٢٣) ترد في الأبيات المذكورة كنية أخرى لابن عمار، وهي: أبو عبدالله، التي أثبتت بعد ذلك في **معجم مشاهير المغاربة** لأبي عمران الشيخ وآخرين، جامعة الجزائر، ١٩٩٥، ص ٣٨١.

(٢٤) أبو القاسم محمّد الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف**، تح، محمد أبو الأجفان وعثمان بطيخ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط.٢، ج٢، ١٩٨٥، ص٨٩.

(٢٥) محمد أبو راس الجزائري، **فتح الإله**، ص٤٨.

(٢٦) ينظر: أبو القاسم سعد الله، **تجارب في الأدب والرحلة**، ص٦٤.

(٢٧) أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، المكتبة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط٢، ١٩٨١، ص ٢٢٧، ٢٣٥.

(٢٨) ابـن عمـار الجزائـري، **مختارات مجهولة من الشعر العربي**، تح. أبو القاسـم سـعد الله، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط١، ١٩٩٢.

(٢٩) لا يخفى على القارئ الكريم ما في هذه الأبيات من اضـطراب في الوزن والمعنى، فضـلاً على أنها ليست للمتنبي ولا توجد في ديوانه.

(٣٠) هذا ما أفاد به مصحح الرحلة في الصفحة ٢٥٤، محتملاً أن يكون ابن عمار قد أتم كتابة رحلته، وهي ربما بتونس، أو مصر، أو الحجاز؛ لأنه أقام بهذه الأماكن عدة سنوات.

(٣١) تزيد النسـخة المخطوطة الموصـوفة أعلاه عن النسخة المطبوعة بقصيدة واحدة، وهو ما قد يفيد اعتماد المصحح نسخة أخرى من الرحلة.

(٣٢) M.Hadj- Sadok، le mawlid d›après le mufti poète d›Alger، Ibn Ammar، p. 269.

- أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ص ٢٥.

(٣٣) M. Ben Messaib، Itinéraire De Tlemcen a La Mekke، traduit par M. Ben Cheneb، Revue Africaine، 1900، p- p . 282 -261.

(٣٤) الحسـين بـن محمد الورثلاني، **نزهة الأنظار في علم التاريخ والأخبـار**، بيير فونتانة، الجزائر، ١٩٠٨.

(٣٥) محمد أبو راس الجزائري، **فتح الإله**، ص ٩٢.

(٣٦) أبو القاسم الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف**، ج ٢، ص- ص ٨٩- ٩٠.

(٣٧) المرجع نفسه، ص ٩٠.

(٣٨) أحمد بن عمّار، **نحلة اللبيب**، ص ٤.

(٣٩) المصدر نفسه، ص ٢٥٤.

(٤٠) المصدر نفسه، ص ٣.

(٤١) المصدر نفسه، ص ٤.

(٤٢) المصدر نفسه، ص ١٠.

(٤٣) المصدر نفسه، ص ٣.

(٤٤) المصدر نفسه، ص ٤.

(٤٥) الرحلة بعنوان: **نظم الدرر المديحية في محاسن الدولة الحسينية** لأبي زيد عبدالرحمن الجامعي الفاسي.

(٤٦) أحمد بن عمار، **نحلة اللبيب**، ص ٩١- ٩٢.

(٤٧) هي لأبي محمد عبدالله بن يحيى الشقراطيسي التوزري، المتوفى سنة ٤٦٦هـ.

(٤٨) هو أبو حمو موسـى بن يوسـف بن عبدالرحمن بن يغمراسـن بن يحيى بن يغمراسن، الذي تولى حكم بني عبدالواد (الزيانيون) في المدة ما بين ٧٦٠- ٧٩١هـ.

(٤٩) وهو أبو عبدالله محمد بن أحمد الشـريف التلمسـاني (٧١٠- ٧٧١هـ)، المشـهور بنظمه: **مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول**.

(٥٠) يلقب بأبي تاشـفين الثاني. حكم دولة بني زيان في تلمسـان من سـنة ٧٩١هـ/ ١٣٩٩م إلى سـنة ٧٩٥هـ/ ١٣٨٣م.

(٥١) من شعراء تلمسان، يعرف بمحمد بن يوسف القيسي الثغري، نظم في مدح السلطان أبي حمو الثاني الكثير من القصائد، نقلها المؤرخون والأدباء؛ منهم: يحيى بن خلدون، ومحمد بن عبدالله الملقب بالحافظ التنسي في كتابه: **راح الأرواح فيما قاله المولى أبو حمو من الشعر وقيل فيه من الأمداح**.

(٥٢) أحمد بن عمار، **نحلة اللبيب**، ص ٣.

(٥٣) المصدر نفسه، ص ٥٣.

(٥٤) المصدر نفسه، ص ٣.

(٥٥) المصدر نفسه، ص ٤.

(٥٦) المصدر نفسه، ص ٩٦.

(٥٧) سبقت الإحالة إليه.

(٥٨) وحقق محمود بوعياد الباب السابع، وهو **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان**، بالمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٥. وحققه كذلك بوطالب محيي الدين، دار دحلب، ١٩٩٣، ص ٣٥٥.

الكتابة الشنقيطية في علم السيرة النبوية
قراءة في النشأة والتطور والتأليف

بقلم: د. التاه بن محمدن بن اجمد(*)

مقدمة

يسعى هذا المقال إلى الحديث عن الكتابات الشنقيطية في السيرة النبوية، وذلك من خلال محاولته رصد البذور الأولى للشناقطة في حقل السيرة النبوية، والمراحل التي مر بها التأليف عندهم في هذا المجال، مع التعرض لأهم إنتاجهم التأليفي في هذا المضمار، على أن يكون الحيز التاريخي لهذا البحث ممتدًا من القرن الثاني عشر الهجري وحتى اليوم.

ورغبة منا في إبراز الجوانب المتعلقة بالإشعاع الثقافي في القطر الشنقيطي، وإظهار ثماره للطلبة والباحثين من أبناء وطننا أولاً ولغيرهم ثانياً؛ ولأهمية السيرة النبوية البادية للعيان والغنية عن الذكر؛ فقد ارتأينا أن نعالج في هذه الصفحات موضوع: (الكتابات الشنقيطية في علم السيرة النبوية؛ قراءة في النشأة والتطور والتأليف)، علَّنا أن نقتدي بآثار سلفنا في الاهتمام والاعتناء بالسيرة النبوية العطرة، فنقتدي بهم في التخلق بمضامينها.

وتبرز أهمية الموضوع أولاً من خلال ندرة ما كتب عنه أو انعدامه؛ إذ لم نطلع -حسب علمنا المتواضع- على أي بحث حول هذا الموضوع، الأمر الذي يستدعي منا خوض غمار هذا الموضوع والكتابة في هذا الجانب الخُلو من أقلام الباحثين وندوات المحاضرين، وهنا يُمكننا القول إنه من الأهمية بمكان محاولة البحث في

نشـأة الكتابات السيرية الشنقيطية ومراحل تطورها، وأهم إسهامات الشناقطة في هذا المجال، ومحاولة فهرستها؛ لتسهل الاستفادة منها على الباحثين من الناحية المنهجية، ويعرفوا المحقَّق منها ليستفيدوا منه في بحوثهم، والمخطوط ليحاولوا إخراجه وإبرازه للوجود.

وسنتناول هذا الموضوع من خلال ثلاثة محاور: نخصص الأول منها للحديث عن تاريخ الكتابة في علم السيرة النبوية، بينما نخصص الثاني لمراحل التأليف في السيرة النبوية، لنختم بسرد بيبليوغرافي لأهم مؤلفات الشناقطة في السيرة النبوية في المحور الثالث والأخير.

وبالتالي، فإن محاور هذه الدراسة ستكون على الشكل الآتي:

المحور الأول: تاريخ الكتابة في علم السيرة النبوية ببلاد شنقيط.

المحور الثاني: مراحل التأليف في السيرة النبوية ببلاد شنقيط.

المحور الثالث: سرد بيبليوغرافي لأهم مؤلفات الشناقطة في السيرة النبوية.

المحور الأول: تاريخ الكتابة في علم السيرة النبوية ببلاد شنقيط:

معلوم أن الشناقطة اعتنوا بالعلوم الإسلامية عمومًا، وأولوها نصيبًا وافرًا من أوقاتهم بالمدارسة والمطالعة؛ مما ولَّد نهضة ثقافية شاملة، تجلت في ظهور مجموعة من العلماء الكبار ذوي الثقافة الواسعة، كان لهم أثر بارز في انتشار المحاضر البدوية، فكل قبيلة لها محضرة أو محاضر، حتى إنه لم يخل حي من الأحياء من علماء متخصصين أو مشاركين على الأقل.

غير أن المفارقة العجيبة تكمن في أن الحركة التأليفية في بلاد شنقيط قد شهدت تأخرًا في الظهور والبروز، فلم تمدنا المصادر التاريخية بمؤلفات في شتى العلوم، إلا مع القرن العاشر، ولعل ذلك له مسوغات عدة، منها ما يؤول إلى الصعوبات المادية، ومنها ما يرجع إلى التوجهات الفكرية، التي كانت تطبع هذه المرحلة التاريخية، فقد كان القوم -خاصة أول أمرهم- منصرفين إلى

التدريس لدرجة لا يتبقي لهم الوقت الكافي للتأليف، ولا ننسى ما للانشغالات التي تقتضيها الطبيعة البدوية -والتي لا تعرف الاستقرار والثبات في مكان- من أثر في ذلك أيضًا، زد على ذلك إنكار القوم الشديد -آنذاك- على من صنف، واستحضارهم لمقولات الأقدمين في التحذير من التأليف، مثل: «من ألف فقد استهدف، فإن أحسن فقد استعطف، وإن أساء فقد استقذف»، و«الإنسان في فسحة من عمره ما لم يؤلف، أو يقل شعرًا»، و«من صنف فقد جعل عقله على طبق يعرضه على الناس»...[1].

قال الشيخ محمد اليدالي (ت ١١٦٦هـ)[2]: «هذا وإن من الناس من ينكر التصنيف في هذا الزمان قائلاً: إن كتب القدماء أَوْلى بالاقتداء، وإن ما حدث من التصانيف بدعة، وما تركت الأوائل للأواخر شيئًا، وإن فلانًا وفلانًا - مع جلالة قدرهم وقوة باعهم - ما تعرضوا لهذا، فأنكروه لذلك، مع أن المشتغل اليوم بكتابة ما شاء من أشعار وحكايات مباحة لا ينكر عليه، والمشتغل بتسديد ما ينفع من الجمع في علوم الشريعة ينكر عليه»[3].

ونلحظ أن الشيخ -رحمه الله تعالى- يردّ على هؤلاء المنكرين، ولا يسلم تحاملهم على المصنفين المؤهلين، قال: «ولا يدري الجهول أن التصنيف مفتوح لمن ساعده التوفيق من الله تعالى، كما قال أبو العباس المبرد، ولله در القائل:

قل لمن لا يرى المعاصر شيئا ... ويرى للأوائل التقديما

إن ذاك القديم كان جديدا ... وسيبقى هذا الجديد قديما[4]

كما أن بعض العلماء وصل به الأمر إلى درجة أنه حرَّم التأليف على غير المنتهين المتقنين لكل الفنون، فقد ذكر محمد عبد الله بن البخاري، صاحب كتاب **العمران**، أن بعض العلماء في هذا القطر، كان قد حرَّم التأليف، إلا على من أحاط بكل فن؛ معللاً ذلك بأن الفنون مرتبط بعضها ببعض، وأن ذلك حق وظاهر؛ لأن من لم يعرف لغة الفن كيف يؤلف فيه؟ وكذلك من لم يعرف أحكامه، لكن الناس كل عام ترذل أجسامًا وأعراضًا، ودينًا ومروءة، وفهمًا وعلمًا، ولكن بحق أن يقال في ذلك:

وإن رأينا زمنًا ليس به عدل أقمنا حكمنا بالأشبه

ويضيف قوله: «فإن أمسكت الناس عن التأليف حتى تحيط بكل فن، فمن يضع العلم»؟[٥].

ثم يواصل حديثه في نفس المنحى قائلاً: إنه حدثه من يثق به، أن سيدي عبد الله بن الفاضل[٦] قال: إن أحمد البدوي[٧] يؤدب، لما ألف تأليفه المشهور، والمسمى **عمود النسب الشريف**، والذي كثر انتفاع الناس به إلى اليوم، وأوله[٨]:

حمدًا لمن رفع صيت العربِ وخصهم بين الأنام بالنبي

ثم علق على هذه المقولة بقوله: «فالانتفاع بكثير من التآليف اليوم أكثر أجرًا عندي على صاحبه من إثمه»[٩].

وقد صاحب هذا التهجمَ والإنكارَ على المؤلفين صعوباتٌ مادية معيقة عن التأليف آنذاك، كصعوبة الحصول على الوسائل اللازمة للتأليف، من مداد وأوراق وغيرها. وذلك ما صرح به الشيخ محمد اليدالي في قصيدته التي قدم بها لكتابه **الذهب الإبريز في تفسير كتاب الله العزيز**، حيث قال:

وأعنِّي يا ذا الجلال عليه وأعن من يعينني يا معينُ
بمداد أو بزبر أو بدلك للقراطيس إذ بذاك تلينُ

وقال أيضًا في كتابه الآخر **فرائد الفوائد**: «فعذري فيه أني جمعته وأنا في (تيرس)[١٠] أجول في أكنافها، وأهيم مع أهلها يمنة ويسرة في جوفها وأطرافها

يومًا بحزوى ويومًا بالعقيق وبال عُذيب يومًا ويومًا بالخليصاء
فتارة ينتحي نجدًا وآونةً شعب الحزون وطورًا قصر تيماء

الطَّرْف معتبر بكُداها وأباطحها، والقلب منتظر لعداها وطواطحها، والقلم غير مساعف والهم مبثوث، ولا مداد إلا مداد الصبيان للمكتب والطُّرْثُوث[١١]، ولا جمع غالبًا إلا بالليل؛ لاستغراق النهار بالترحال الحثيث»[١٢].

وعلى العموم وأيًا كانت الأسباب والمعوقات، فحركة التأليف قد بدأت فعليًا بهذه الربوع في القرن العاشر، لتبلغ ذروتها وأوجها في القرن الثالث عشر الهجري[١٣].

فمنذ ذلك القرن نشأت حركة تأليفية نشطة، تناولت علمي الفقه واللغة. أما علم السيرة النبوية، فلعل البذرة الأولى المكتشفة فيه تعود إلى منتصف القرن الثاني عشر الهجري، وهي عبارة عن **نظم لأسماء النبي ﷺ** للعلامة الحاج أحمد بن الند عبد الله الولاتي (ت ١١٤٠هـ)[١٤] **وألفية في السير والغرائب من الأخبار** للعلامة حِمى الله بن محمد الأمين التشيتي المتوفى (ت ١١٥٥هـ)[١٥]. وعلى الرغم من إشارة المصادر التاريخية إلى هذين المؤلفَين، إلا أنني لم أعثر عليهما، ولا على أي أثر لهما فيما بعدهما.

وتأسيسًا على ما سبق، يمكن القول إن الحركة التأليفية لم تعرف ازدهارًا ونضوجًا، إلا مع رائد حركة التأليف في مختلف العلوم -وخاصة في علم السيرة النبوية- العلامة محمد بن سعيد اليدالي، حيث خلَّف مؤلفًا في غاية الأهمية والنفاسة، **الحلة السيرا**، ساهم في تحريك الساحة العلمية، ونهض بمستوى التأليف والدرس، فحاكاه أغلب العلماء بشروح ومنظومات كثيرة. وللاطلاع أكثر على مراحل الإسهام في علم السيرة النبوية من لدن الشناقطة، فقد عقدنا المحور الآتي لذلك، فماذا عنه؟

المحور الثاني: مراحل الإسهام في حقل السيرة النبوية ببلاد شنقيط

يمكن تلمس مرحلتين زمنيتين ميزتا جانب التأليف في السيرة النبوية، حيث تعود الأولى إلى ما قبل (١١٥٥هـ)، وتعود الثانية لما بعد ذلك التاريخ، وقد سمينا المرحلة الأولى بمرحلة الإسهام المحتشم، أما الثانية فأطلقنا عليها مرحلة

الإسهام المرتسم. فما ذا عن هاتين المرحلتين؟

المرحلة الأولى: مرحلة الإسهام المحتشم

اتسمت هذه المرحلة بالمساهمة المحتشمة، وتجلى ذلك في عزوف الشناقطة عن التأليف، مقابل تركيزهم على القراءة والتبحر في العلم بشتى صنوفه وأنواعه، حتى غدت الموسوعية هدفهم المنشود، وأمنيتهم القصوى، وكان من نتائج ذلك أن نبذوا التأليف وراء ظهورهم، وهجروا حريمه كأنهم لا يعلمون، هذا ما تشير إليه كتب التاريخ والتراجم، رغم شح المعلومات المتوفرة عن هذه الحقبة الزمنية من تاريخ التأليف، ومجمل الحياة العلمية آنذاك؛ ولعل هذا ما يفسر لنا عدم إشارة المصادر التاريخية لأي مؤلف في هذه المرحلة، إذا ما استثنينا بعض الإحالات لمؤلَّف أو مؤلفين، لم يكتب لهما البقاء، وإن كانوا ألمحوا إلى اهتمام القوم بهذا العلم دراسة وتدريسًا واطلاعًا وتبحرًا، ومن أمثلة ذلك ما أورده البرتلي عند ترجمته للعلامة الطالب أبو بكر بن علي بن الشيخ بن المحجوب الولاتي (ت ١١٠١هـ)؛ قال عنه: كان -رحمه الله- شيخًا، عالمًا، فقيهًا، نحويًا، لغويًا، فاضلاً، جليل القدر، له حظ في الحديث والسير[١٦].

وما أشارت إليه المصادر التاريخية من مؤلفات في هذه المرحلة هو عبارة عن نظم وقصيدة وكتابين فقط، لأعلام من أعيان هذه البلاد هم على الترتيب:

- الحاج أحمد بن الند عبد الله الولاتي (ت ١١٤٠هـ)، له **نظم في أسماء النبي ﷺ، وكتاب في الصلاة على النبي ﷺ**[١٧].
- سيدي عبد الله بن محمد بن القاضي الشهير بـ «ابن رازكه» (ت ١١٤٤هـ) فاتحة الشعراء بهذا القطر، له قصيدة رائعة في صفة نعل المصطفى ﷺ.
- حِمى الله بن محمد الأمين التشيتي (ت ١١٥٥هـ) الذي خلف **ألفية في السير والغرائب من الأخبار**[١٨].

وننبه هنا إلى أننا لم نعثر على أية إشارة إلى هذه المؤلفات سوى ما ذكرته هذه المصادر التي تمت الإحالة عليها، مما يترك الباب مفتوحًا أمام التأويلات في حجم هذه الكتب ومكانتها العلمية، فهذا محمد سعيد اليدالي يشير إلى أنه لم يجد مرجعًا قبله يعتمد عليه، وينير له الدرب في هذا الفن. قال مرجعًا الضمير إلى فن السيرة النبوية الذي كان يتحدث عنه: «... هذا وقد كانت لي نفس تشوقني إليه، وتتوق أن ترى تأليفًا عليه، فلم تظفر بشيء من تلك المسالك، ولم يسددها الجد السقيم، ولكنها لم تقنع بذلك، فأثنيت الضلوع عن أذاها، وأغضيت الجفون على قذاها، ثم استنهضت قريحتي العليلة، واقتدحت أزناد أفكاري الكليلة، فلم أزل في عرصاته ورسومه، وأسائل عنه كل ركب وكل من فيه إلمام وممارسة بعلومه، حتى التقطت من فرائده دررًا، ومن نوادره غررًا، على أنني لم أر ماهرًا فيه اعتمدت عليه، وأرجع عند العويصات إليه، فأتيت بهذه العجالة تعجيلاً لقرى المستفيد، واكتفاءً من القلادة بالقدر المحيط بالجيد، ليعم نفعه البلاد، ويتعاطاه الحضري والباد، جمعت فيها -وعلى وجه الاختصار- ما لم يجتمع في غيرها من الكتب الكبار، فصار هذا المجموع المصنف بذكره ﷺ مقرظًا مشنفًا، حتى كأن البدر في لبته، ونسيم المسك في هبته، وحتى كأنه في غرة الكتب لمعة منيرة، وفي تاج التواليف درة خطيرة»[١٩].

فلو كان لهذه المؤلفات شأن أو سبق علمي لاعترف به، مما يعضد احتشامها وعدم قدرتها على البقاء، فحتم ذلك استبعادها من صدارة المؤلفات العلمية التي تصلح أن يبنى عليها ما بعدها، وأن تعتبر ركيزة أساسية من ركائز الصرح العملي الذي شيده الشناقطة في هذا المجال.

أما القصيدة، فهي قصيدة مطولة، وقد أورد صاحب كتاب **الوسيط** أغلبها، ولنقتطف منها بعض الأبيات[٢٠]:

غرام سقى قلبي مدامته صرفا ... ولما يقم للعذل عدلاً ولا صرفا

قضى فيه قاضي الحب بالهجر مُذ غدا ... مريضًا بداء لا يُطب ولا يشفى

نـهـاري نـهـر بـين جـفـنـيّ والـكَـرى ... وليليَ بحر مرسل دونه سَجفا (...)
لـئـن فـاتـنـا عـين الحـبـيـب فـإنمـا ... بآثاره الحسنى شفاء من استشفى
فإن لم تر النعل الشريفة فانخفض ... لتمثالها واعكف على لثمها عكفا
وقـف رائـمًـا إشـمـام ريًّـا عـبـيرهـا ... حشاشة نفس ودعت جسمها وقفا
ولا تـرضَ في تـقـبـيـل إلـف تحبه ... إذا أمكن التقبيل ألفًا ولا ضعفا
بـدت روضـة مسكية النشر أوشكت ... لطيب شذاها العين أن تحسد الأنفا (...)
أرى الـشـعـراء الـهـائـمـين تشببوا ... بذكر المحاكي من يحبونه وصفا
يذيعون ذكر البان والحقف ذي النقى ... ويطرون ذات الخشف بالقول والخشفا
فـهـا أنـا في تمـثـال نـعـلـيـك سـيـدي ... مضيت على التحقيق في الوصف كالأشفا
وإني وتـوصـايَ بـديـع حـلاهـمـا ... كمن هم بالبحرين يفنيهما غرفا
أيـا مـن سـقـت ألـفًـا ظـمـاء بـنـانُـه ... كما وهبت ألفًا كما هزمت ألفا
يـد سـمـيـت في فـادح الـفـقـر راحـة ... كما سميت في كفها للعدى كفا
ومـن قـام في الإسـراء والحشر خلفه ... نـبـيـؤوا إلـه الحـق كلهم صفا
لـه مـكـنـة في عـلـم كـل خـبـيـئـة ... يقينًا ولم يخطط على مهرق حرفا

وأختم هذه المرحلة باللغز الذي وجهه العلامة عبدالله ابن القاضي العلوي (ت ١١٤٤هـ) لـ«زوايا» «القبلة»[٢١] حول صحابي أسلم على يد تابعي، وبينه مع ابنه إحدى عشرة سنة، يشير بذلك إلى عمرو بن العاص الذي أسلم على يد النجاشي، وهو أسن من ابنه عبد الله بإحدى عشرة سنة. إلا أنه يؤخذ على صاحب اللغز إطلاقه على النجاشي أنه تابعي، إذ هو في الاصطلاح مخضرم وليس تابعيًا. قال[٢٢]:

أَتيـنَـاكَ نوكَى مُـرْمـلـينَ فَواسـنَا ... بِـإسـلاَم صَـحْـبِـي عَـلَـى يَـد تَـابِـعِ
وَسَـبْـق أَبٍ مِـيـلادَهُ مَـولِـدَ ابْـنِـه ... بِـخَـمـسٍ وَسـتٍّ مـا عُـزِزْن بِـسـابِـعِ

فأجابه العلامة محمد بن أبي أحمد المجلسي[٢٣] قائلاً[٢٤]:

هُما عَمْرو السَّهميُّ أسلَم مُخلصاً بِأَصْحَمةَ المَلْك النَّجَاشي المُتَابع
مَعَ ابْنِهِ عبدِالله قَد جَاءَ بَعْدَهُ بِخَمسٍ وَستٍ ما عُزِزْن بِسابِعِ

المرحلة الثانية: مرحلة الإسهام المرتسم

شكل الإسهام المحتشم شبه نواة مهدت لمرحلة الإسهام المرتسم، إذ سنلحظ في هذه المرحلة ظهور مؤلفات ذات قيمة علمية ونفَس طويل، تضاهي أمثالها من كتب الفن التي عرفت في أقطار العالم الإسلامي، كما شكلت فائضًا في المادة، سد الخصاصة، وأزاح المستورد، حيث أصبحت المؤلفات الشنقيطية في هذه المرحلة تغطي حاجة تعليمية، وتسد فراغًا علميًا عرفه التأليف في هذا القطر، مما مكنها من الصدارة واحتلال المكانة التي تتبوؤها الكتب الوافدة في ساحة الدرس الشنقيطي، لتصبح زادًا علميًا ومرجعًا أساسيًا، ووحدة في النظام المحظري لا يتخرج الطالب قبل أن يستوفي جميع متونها.

ويمكن تحديد البداية الفعلية لهذه المرحلة بحلول النصف الأخير من القرن الثاني عشر، وخصوصًا مع رائد حركة التأليف في الربوع الشنقيطية وملهمها الشيخ محمد سعيد اليدالي. قال العلامة سيد أحمد بن اسمه الديماني متحدثًا عن تآليف الشيخ محمد اليدالي: «ومن تواليفه -رضي الله عنه- **الحلة السيرا في أنساب خير الورى**، وهو مجلد كبير، لم يُر مثله في الإحاطة والصحة وكثرة الفوائد، وهو الذي نظم منه البدوي المجلسي نظمه الحسن الشهير عند الناس، الذي هو عمدة أهل هذه البلاد في الأنساب»[٢٥].

وللحديث عن هذه المرحلة والتدليل على ما أجملناه فيها، نود تقسيمها إلى نقطتين: نتطرق في أولاهما لعرض كتابين مما أسميناه الكتب المستقله، بينما نخصص الثانية لسرد بيبليوغرافي لأهم مؤلفات الشناقطة، سواء كانت كتبًا مستقلة أو كانت عبارة عن شروح وتوضيحات، فماذا عن هاتين النقطتين؟

أولاً: الكتب والمؤلفات المستقلة

نقصد بالمؤلفات المستقلة تلك المؤلفات التي لا تخدم مؤلَّفًا سابقًا، لا شرحًا، ولا نظمًا، وهي كثيرة؛ بعضها مستوعب شامل، وبعضها مختصر مقل، فهي ليست على وزن واحد، ولا طريق واحد، وإنما هي مختلفة في الأغراض والأهداف، فبعض الأحيان يكون المؤلِّف قصد من تأليفه أن يصبح مرجعًا مهمًّا في مادته، ولهذا يبذل جهده ويستفرغ وسعه لأجل استيعابه لمعلومات لا يستغني عنها أي مؤلف، وهذا قليل؛ لقلة المصادر الضرورية لذلك؛ ولطبيعة المجتمع البدوية. وأول مؤلَّف عرف على هذا النمط هو كتاب **الحلة السيرا في أنساب العرب وسيرة خير الورى**، وما دام الأمر كذلك حري بنا أن نتناول هذا الكتاب بشيء من التفصيل والبيان.

الاسم الكامل للكتاب هو **الحلة السيرا في أنساب العرب وسيرة خير الورى**، ومؤلفه هو محمد سعيد بن المختار اليدالي، أحد رجالات التأليف الأوائل في هذا القُطر، عرف بتصانيفه الجميلة، وعطاءاته الفريدة، ويعد مؤلَّفه من أوائل المؤلفات في السيرة النبوية عند الشناقطة.

وقد افتتحه بطليعة عرض فيها للأسباب والظروف التي ألف فيها الكتاب، كما خاطب فيها الحساد والمعارضين، ثم أتبع ذلك بأهمية معرفة نسبه ﷺ ذاكرًا أنها من كمال الإيمان.

قال في فاتحة الكتاب: «الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي طابت أرومته، وأفصحت عن كرم المحتد جرثومته، والذي له من نصاعة الحسب وعتاقة النسب ما يُقِر به الأصاغر والأكابر، وتعترف له به قريش البطاح وقريش الظواهر. وبعد، فلما كان العلم بأنساب العرب صارت رسومه دواثر، وعادت أجداده عواثر، وأسواقه كواسد، ومخدراته قواعد، وأشخاصه متواريه، وأزناده واريه، وبواتره صدأت في أغمادها، وشهُبه قذيت برمادها، وتقلص ضافي بُرده، وتكدر صافي ورده، وأصبح مهجورًا، كأن لم يكن شيئًا مذكورًا. وكان نسبه ﷺ

أفضـل الأنسـاب، وكان العلم بنسـبه ﷺ وببعض أحواله، وما يتعلق بذلك فرضًا على الأعيان، وشرطًا في كمال الإيمان»[٢٦].

ثم أتبع ذلك بمقدمة في أمور مهمة؛ منها: فضل هذا الفن وفائدته، والكلام على العرب وتقسيمهم، وطبقاتهم ومساكنهم، وفضلهم ودياناتهم قبل الإسلام، وعلومهم، وأيام حروبهم، ونيرانهم وأسواقهم، ومفاخرهم فيما بينهم...

ثم دخل في الحديث عن نسـبه ﷺ بادئًا بفخذه الذي ينتمي له، مرتبًا لآبائه، ومرتقيًا بنسبه حتى أوصله إلى محل الاتفاق، وهو معد بن عدنان، وبعد ذلك ذكر نسب العرب من أبناء قحطان.

ثم ختم الكتاب بقوله: «انتهى ما أردناه من اختصار سيرته ﷺ والكلام على بعض المهم من أنساب العرب، وختمناه ببعض كلامه ﷺ في بعض كتبه إلى العرب، وشـرح بعض غريبها، عسـى الله أن يختم لجامعه والناظر فيه بحسن الخاتمة، بجاه سيد العرب والعجم، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه»[٢٧].

ويبدو أن هذا الكتاب أول تأليف نثري في السيرة النبوية، وبعده تتالت التآليف بشـتى صـنوفها وأنواعها، على أن المؤلفات المنظومة تعتبر أهمها؛ لأن النظم هو وسيلة الشناقطة في تثبيت المعلومات، وتسهيل المستعصيات، وتذليل العقبات، إذ من خلاله تنفذ المعلومات والمعارف إلى ذهن السـامع والقارئ، وهو أيضًـا وعاء لغوي ينقل العلم والمعرفة.

ونتيجـة للبـداوة والترحـال، وعـدم الاسـتقرار، والذائقـة الأدبيـة العالية والمنتشـرة بشـكل كبير، كان على العـالم أن يتجه إلى هذا الأسـلوب، ليحفظ له مراميه ومقاصده، فأقبل المؤلفون عليه، ولم يبق شيء إلا ونظموه، فجمعوا مسائل متفرقـة، ونظموها في أبيات تثبيتًا لها في الأذهان، وحفاظًا عليها من النسـيان. والمتتبع لحركة التأليف عند الشـناقطة يلحظ هذه الخاصـية، فالنظم له الأَوَّلية والأفضـلية على النثر، عند عامة العلماء والمتعلمين، ولذلك لم يترك الشـناقطة مؤلَّفًـا نثريًا إلا وتناولوه بالنظم مرارًا وتكرارًا، والأمثلة على ذلك كثيرة، وتتجلى

أكثر في المحور الخاص بالسرد البيبلوغرافي لأهم مؤلفات الشناقطة في حقل السيرة النبوية الآتي بعد هذا المحور بحول الله.

وسنكتفي في هذا المقام بأنموذج واحد، وهو **نظم عمود النسب الشريف** للعالم أحمد البدوي بن محمدا (ت ١٢٠٨هـ)؛ فهذا النظم أصبح بعد ظهوره أهم كتاب مدرسي للطلاب والباحثين في السيرة والأنساب. قال في مقدمة النظم[٢٨]:

حمدًا لمن رفع صيت العرب	وخصهم بين الأنام بالنبي
وعمهم إنعامه بنعمته	فدخلوا بيمنه في زمرته
ودوخوا بسيفه غلب العجم	إذ هم بنو أب وأم بالحرم
إذ الخيول البُلق في فتوحهم	والرعب والظفَر في مسوحهم
هم صفوة الأنام من أحبهم	بحبه أحبهم وودهم
كذاك من أبغضهم ببغضه	أبغضهم تبًا له من معضه (...)
خدمته صلى عليه الله	بنشر ما من نشرهم طواه
مر الزمان وجهالة بنيه	لعله يرحمني بما أشيه
ومن رأى خلاف ما ذكرته	فليتَّئد لعل ما أبصرته
في غير ما طالعَه إذ الطرق	لاسيما في الفن ذا قد تفترق
ومن يكن مستوعبًا مثلي ذكر	مشتهرًا منها وغير ما اشتهر
وربما أنكر ضَيّق العطن	والباع والبحث علي فطن
ولست إلا من مشاهير الكتب	آخذ فليزكها أو ليسب

وبعد هذه المقدمة جاء بنبذة استعار لها لفظ الطليعة، تحدث فيها عن القبائل التي كانت تسكن الحرم، وتشرف على البيت الشريف، ومن صار له ذلك من العرب، ذاكرًا بعض العادات والمختلقات التي كانت عند العرب، ليدخل بعد ذلك في أنسابهم، بادئًا بعمود نسب المصطفى ﷺ متتبعًا لآبائه، بادئًا بآخر من وقع عليه الاتفاق منهم، منحطًا من عنده إلى أقربهم إليه ﷺ وألصقهم به.

وبعد أن أنهى الكلام على القبائل العدنانية وما تفرَّع منها، تحدث عن أنساب العرب القحطانية، عمود نسب الأنصار، وذلك في أسلوب يستطرد الحكايات

التاريخية، والقصص النادرة والمفيدة، والآداب والطرف، قال في بداية حديثه عن نسب الأوس والخزرج[٢٩]:

أوس وخزرج هم الأنصار ... وقَيْلة أمهما واختاروا
أن لحيا ابن والدهما ... حارثة ابن مبتني مجدهما
ثعلبة العنقاء عن مزيقيّا ... عن منذر ماء السماء الاذكيّا
ونزلوا على يهود يثرب ... إذ هربوا من سيل سد مأرب
بأمر عمران وأمر الكاهنه ... زوجته طريفة المائنه
في فم شق وسطيح تفلت ... فخلفاها في الذي تقولت

ويمتاز هذا النظم بجودة الصياغة، وحسن السبك، والخلو من الحشو والتتميم؛ لذلك لقي إقبالاً كبيرًا في الأوساط العلمية، فتلقاه الطلاب بالدراسة والحفظ، والشيوخ بالشروح والزيادات، والحواشي والاستدراكات.

وللاطلاع على مدى إسهام الشناقطة في كل من القسمين الآنفي الذكر: قِسم الكتب المستقلة، وقسم الشروح والتوضيحات الذي لم يسمح المقام بعرض نماذج منه هو الآخر وتحليلها؛ نظرًا إلى كثرته وتأخره عن القسم الأول، خَصصت المحور الآتي لسرد ببليوغرافي لأهم تلك المؤلفات، فماذا عنها؟

المحور الثالث: سرد ببليوغرافي لأهم مؤلفات الشناقطة في السيرة النبوية

يلحظ المتتبع لتراث الشناقطة أن السيرة النبوية كانت حاضرة في مجلسهم ومؤلفاتهم حضورًا بارزًا، ولا أدل على ذلك من المخطوطات التي تعج بها سجلات السيرة النبوية اليوم في رفوف الخزائن العامة، بالإضافة إلى أضعافها التي توجد في المكتبات الخاصة، مع العلم أن الكثير من تلك المؤلفات ضاع واندثر.

ونشير هنا إلى أن أغلب هذه المؤلفات التي سنذكر هي مأخوذة من سجل المعهد الموريتاني للمخطوطات والبحث العلمي، وسجل المخطوطات الموجودة بالمعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، وكتاب **الحياة الثقافية** للعلامة المختار بن حامدن، وكتاب **المنارة والرباط** للدكتور الخليل النحوي، ومن بعض

البحوث والرسائل الجامعية، خاصة رسالة **معجم المؤلفين في ولاية اترارزة**، المعدة بالمعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية. غير أننا مع ذلك لم نتبع سننهم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع، وإنما كنا نأخذ منهم المعلومة ثم نبحث عن صحتها، لذلك وقفنا على بعض الأخطاء في تلك الفهارس، حيث لاحظنا أنهم ينسبون أحيانًا بعض الكتب إلى غير أصحابها، وينسبون كتبًا إلى أشخاص هم منها براء لم يؤلفوها أصلاً[٣٠].

أما البقية، فقد جمعناها من المكتبات الخصوصية والحواضر البدوية، وقد تحصَّل عندنا كم هائل من المؤلفات، لكننا قررنا أن لا ننشر منها إلا ما وجدنا معلومات كافية عنه، من حيث الحجم، ومكان الوجود، وصحة النسبة إلى المؤلف، فانتقينا في الأخير (١٤٠) مؤلَّفًا، من جهود الشناقطة في السيرة النبوية.

ويجدر التنبيه إلى أن أغلب هذه المؤلفات ما زال مخطوطًا، وبعضها رأى النور فعلاً، وآخر رآه حكمًا. وذلك ما يتضح من خلال الجدول الآتي:

سرد ببليوغرافي لأهم مؤلفات الشناقطة في حقل السيرة النبوية

اسم المؤلف	اسم الكتاب	توثيقه
أبو بكر بن احجاب الديماني (١٣٢٢هـ)	محاسن الإصابة في مدح خير الخلق والصحابة	محقق ب(م، ع، د، ب، إ)[٣١] رقم ١ سجل السيرة النبوية
	مواهب الوهاب في سيرة النبي ﷺ والأصحاب	يوجد بقسم المخطوطات ب(م، ع، د، ب، إ) سجل السيرة النبوية، و(٥٨) ٢٣٠٣.
أبو بكر بن أحمدُّ باب التندغي (ق ١٤)	فارة مسك التاجر	توجد منها نسخة تامة ب (م، م، م، ب، ع)[٣٢] تحت الرقم (٢١٨٢)
أبو بكر بن سيدي أحمد بن مامين الديماني (ت١٣٦٣هـ)	نظم خصائص النبي ﷺ	محقق (م، ع، د، ب، إ) رقم ٤٣ سجل السيرة النبوية

أحمد البدوي بن محمدا المجلسي (ت١٢٠٨هـ)	نظم الدول	يوجد بمكتبة محمد يحيى بن سيد أحمد، بـ«بوحديدة» انواكشوط
	نظم عمود النسب الشريف	مطبوع
	نظم غزوات الرسول ﷺ	مطبوع
	نظم الفتوحات الإسلامية	محقق (م، ع، د، ب، إ) رقم ٨٣ سجل السيرة النبوية
أحمد بن احبيب اليدمسي (ت ١٣٩٢هـ)	غاية الاغتنام في الصلاة على سيد الأنام	يوجد بـ (م، م، م، ب، ع) تحت الرقم ٢٤١٩
أحمد بن حنبل بن البشير الشمشوي البهناوي	نظم مراحل حياة النبي ﷺ «الوقائع»	وهو محقق ب.(م، ع، د، ب، إ) سجل السيرة النبوية: رقم٦٦.
أحمد باب بن السالم	نظم تحفة المحتاج إلى علوم سيرة الأزواج	وهو محقق بـ (م، م، م، ب، ع) سجل السيرة. رقم١٤.
أحمد المأمون بن محمد الصويفي	المواطن العشر في سيرة سيد البشر	وهو محقق بـ (م، ع، د، ب، إ) سجل السيرة النبوية، رقم: ٣.
	الأنوار المحمدية في السيرة النبوية	حقق مرتين بـ (م، ع، د، ب، إ) رقم الأول: ٥. والثاني: ١٢.
أحمدو بن التاه بن حمين (معاصر)	إبراز الخفيات من نظم الصحابيات	توجد منه نسخة بحوزتي
أحمدو بن دهاه العلوي (ت١٣٦١هـ)	نظم أهل الصفة	محقق بـ (م، ع، د، ب، إ) رقم ١١ سجل السيرة النبوية
	منظومة السرايا والبعوث في عهده ﷺ	يوجد بقسم المخطوطات بـ(م، ع، د، ب، إ) سجل السيرة النبوية، رمز و(٧٣) ٢٧٧.
أحمد بن محمد باب الحاجي	تيسير المنى في معرفة من ليس مدحه كل ولا وناء	يوجد بـ (م، م، م، ب، ع) تحت الأرقام ٢٤٢٠-٣١١٢
أحمد بن محمدا الديماني (ت١٤١١هـ)	نظم في أهل بدر	مخطوط بحوزتي

أحمد محمود بن يداده الحسني (ت١٣٨٨هـ)	طرة على قرة الأبصار	يوجد بقسم المخطوطات بـ (م، ع، د، ب، إ) سجل السيرة النبوية، و(٢١) ١٩٥.
	مفيد الطلاب في حل ضروريات نظم الأنساب للبدوي	يوجد بـ (م، م، م، ب، ع) تحت الأرقام (٢٥٦٠) (٣٢٤٦)
	شرح نظم أمهات المؤمنين لغال بن المختار فال	يوجد بقسم المخطوطات بـ (م، ع، د، ب، إ) سجل السيرة النبوية، و(٥٧) ٨٦.
بداه بن البصيري التندغي (ت ١٤٣١هـ)	تحفة الحذاق بشرح نظم الأخلاق	توجد منه نسختان بقسم المخطوطات بـ (م، ع، د، ب، إ) إحداهما برقم: و(١٥) ٢٦٣. والأخرى: و(٥١) ٧٩.
البشير بن امباركي اليدمسي (ت١٣٥٤هـ)	مزيل متشابه الخزرج والأوس	مخطوط بحوزتي
	نظم في نسب المهاجرين	مخطوط بحوزتي
	نظم في نسب الأنصار	مخطوط بحوزتي
	نظم مهاجري الحبشة	محقق بـ (م، ع، د، ب، إ) رقم ٧٨. سجل السيرة النبوية.
	نظم مهاجري أهل بدر	مخطوط بحوزتي
حماد بن الأمين المجلسي (ت ١٢٥٦هـ)	روض النهاة في شرح الغزوات	مطبوع
	شرح عمود النسب للبدوي	مطبوع
	نظم سرية النخلة	محقق بـ (م، ع، د، ب، إ) رقم ٥٩، سجل السيرة النبوية.
حمدا بن سيدي بن التاه (معاصر)	نظم في الوفود التي وفدت على النبي ﷺ	مرقون
زين العابدين بن اجَّمد اليدالي (ت١٣٥٨هـ)	نظم أهل الصفة	محقق بـ (م، ع، د، ب، إ) سجل السيرة النبوية. رقم٢٢.
	جليلة الإفادة شرح وسيلة السعادة	وهو موضوع الدراسة والتحقيق.

	نظم أهل بدر	وقد أدرجه في هذا النص المحقق
	احمرار على نظم الأخلاق لابن متالي	وهو محقق على جزئين بـ (م، ع، د، ب، إ) رقم الأول: ١١٢. ورقم الثاني: ٧٣.
	زيادة لنظم الشهداء لابن متالي	مخطوط بحوزتي
	نهر العسل المصفى في مدح النبي المصطفى	محقق بـ (م، ع، د، ب، إ) رقم ١١٨١.
	شوارق الأنوار في مدح النبي المختار ﷺ	وقد حقق منه جزءان بـ (م، ع، د، ب، إ) محفوظان تحت الأرقام: (١١٢) (٧٣).
	نظم من صحب النبي ﷺ مع أبيه	وهو محقق بـ (م، ع، د، ب، إ) سجل السيرة النبوية: رقم: ٤٧.
سيد أحمد بن الشيخ الملقب «إجكاني»	نظم أمهات النبي ﷺ، والعشرة، والأمهات	محقق بـ (م، ع، د، ب، إ) سجل السيرة النبوية: رقم: ٤٨.
سيد أحمد بن مامين الديماني (ت١٣٥٠هـ)	نظم أول الأنصار إسلامًا	محقق بـ (م، ع، د، ب، إ) رقم ٤٩، سجل السيرة النبوية.
سيد عبد الله بن الحاج إبراهيم (ت١٢٣٣هـ)	يسر الناظرين على روضة النسرين	مطبوع
سيد محمد بن عبد الرحمن «اماه» (ت١٣٥٢هـ)	مفيد البوادي والأمصار على شرح قرة الأبصار	وقد حقق منه الجزء الأول بـ (م، م، م، ب، ع) سجل السيرة النبوية: رقم٦٤.
الشفيع بن المحبوبي اليدالي (ت١٤٠٤هـ)	نظم شمائل الرسول ﷺ	محقق بـ (م، ع، د، ب، إ) في رسالتين الأولى رقم ٣٢. والثانية: ٨٠ سجل السيرة.
الشيخ أحمدو بن الشيخ محمد الحافظ	نظم الشمائل للترمذي	وهو محقق بـ (م، م، م، ب، ع) رقم ١٠.
الشيخ سعد أبيه بن الشيخ محمد فاضل (ت ١٣٣٥هـ)	توسلات	يوجد بـ (م، ع، د، ب، إ) سجل السيرة النبوية. و(٦٧) ٦٥٧.

	وسيلة المقاصد	يوجد بـ (م، م، م، ب، ع) تحت الرقم ٩٢٨
الشيخ سيدي المختار الكنتي (ت ١٢٢٤هـ)	نفح الطيب في الصلاة على النبي الحبيب	مطبوع
الشيخ محمد المامي الشمشوي (ت١٢٨٢هـ)	الصادح والباغم وهو ألفية في السيرة	محقق بـ (م، ع، د، ب، إ) سجل السيرة النبوية، رقم ٥٨
	الجرادة الصفراء في المديح والخصائص	تحت النشر من طرف[٣٣] (ز، ش، م، م)
	نظم أهل بدر الكبير (وسيلة السعادة)	محقق بـ (م، ع، د، ب، إ) سجل السيرة النبوية: رقم: ٥٨.
	نظم أهل بدر المتوسط (المز)	مخطوط بحوزتي
	النظم الإجمالي لأهل بدر	مخطوط بحوزتي
الشيخ المصطفى بن العَرَبي (ت ١٣٣٩هـ)	نظم أهل بدر	يوجد بمكتبة أحفاده بالحوض الشرقي، موريتانيا
عبدالرحمن بن حدامه (ت١٣٧٧هـ)	مراد المريدين في معرفة البدريين	محقق بـ (م، ع، د، ب، إ) سجل السيرة النبوية: رقم ٧١.
عبدالقادر بن محمد سالم المجلسي (ت١٣٣٧هـ)	نزهة الأفكار بشرح قرة الأبصار	مطبوع
	قرة العينين في شرح غزوات سيد الكونين	توجد بـ (م، م، م، ب، ع) تحت الرقم (٢٢١٤)
عبدالله السالم ابن حنبل الحسني (ت١٣٥٣هـ)	نظم الصفة الجميلة أو الشمائل	وهو محقق بـ (م، ع، د، ب، إ) سجل السيرة النبوية: رقم ٧٤.
عبد الله بن سيدي محمود الحاجي «النهاه» (ت١٢٥٥هـ)	نظم أسماء أهل بدر	مطبوع

عبد الله بن امين الديماني (معاصر)	خلاصة ما تفرق في الصحف المنتشرة فيما تعلق بأهل البيت والعشرة	يوجد بمكتبة مؤلفه عبد الله بن أمين بآمنيكير.
	نظم في ترجمة سلمان الفارسي	يوجد بالمكتبة السابقة
	مجن شر الإنس والجن في صحابة الجن	ولم أعثر على من ألف فيه تأليفًا مستقلاً قبله. يوجد بالمكتبة الآنفة
	النفحة العنبرية في مدح خير البرية	توجد بالمكتبة السابقة
	هدية أفقر الفقراء إلى مكة أم القرى	توجد بالمكتية السابقة
عبد الله بن ايبيه الديماني (ت١٣٢٨هـ)	جامع السيرة	توجد منه نسخة بخط المؤلف بمكتبة عمر بن محمدن عبدالله بقرية الدوشلي.
	شرح على عمود النسب للبدوي	توجد منه نسخة بخط المؤلف بالمكتبة السابقة
عبد الودود بن الحضرمي المجلسي (ت١٣٦٢هـ)	نظم مختصر في أهل بدر	حقق بـ (م، ع، د، ب، إ) سجل السيرة رقم: ٣٠
	بغية المتعطشين إلى سيرة سيد المرسلين	يوجد بـ (م، م، م، ب، ع) تحت الرقم ٢٣٩٤
غالي بن المختار فال البوصادي (ت١٢٤٠هـ)	نظم السرايا والبعوث وشرحه	وهو محقق بـ (م، ع، د، ب، إ) سجل السيرة النبوية، رقم: ٧.
	وسيلة الرواج في ذكر الأزواج	وهو محقق بـ (م ع د ب إ) سجل السيرة النبوية، رقم ٦.
	نظم في نسب أمهات المؤمنين	يوجد بقسم المخطوطات بـ (م، ع، د، ب، إ) سجل السيرة النبوية. و(٥٧) ٨٦.
كراي بن أحمد يوره (ت ١٤٢٠هـ)	نظم أهل بدر وشرحه	محقق بـ (م، ع، د، ب، إ) سجل السيرة النبوية: تحت رقم: ٣١.

	نظم السرايا	وهـو محقـق بـ (م، ع، د، ب، إ) سجل السيرة النبوية، رقم: ٤٥.
	نظم الهجرة النبوية	وهـو محقـق بـ (م، ع، د، ب، إ) سجل السيرة النبوية. رقم٧٧.
محمـد بـن أحمـد الصـغير بـن امبوجـه التشيتي (ق ١٣ هـ)	ضوء الظلام في الصلاة على خير الأنام	يوجد ضـمن مخطوطـات مدينة تيشيت تحت الرقم [٥].
محمد بن أحمد مسكه (معاصر)	شرح الصدر بأهل بدر	مرقون
محمد بن بيه الجكني	نظم لباب علم السير في نصر الأنصار لخير مضر	وهـو محقـق بـ (م، ع، د، ب، إ). سجل السيرة النبوية: رقم: ٥٥.
محمـد بـن الغـزالي (ت١٣٦٨هـ)	أصحاب بدر	محقـق بـ (م، ع، د، ب، إ) سـجل السيرة النبوية: رقم٢٧.
محمـد بـن الكـرار القناني	الجوهر الثمين في سيرة المشفع الأمين	وهـو محقـق بـ (م، م، م، ب، ع) سجل السيرة. رقم:١١.
محمـد بـن المختـار بـن سـعيد اليـدالي (ت١١٦٦هـ)	الحلة السيرا في أنساب العرب وسيرة خير الورى	يوجـد بـ (ز، ع، م، ي) (٥) بتوجنين انواكشوط
	واضح المذاهب في سيرة المختار خير واهب	توجد منه نسخة بالمكتبة السابقة.
	المربي على صلاة ربي	مطبوع
محمـد بن المصـطفى الحسني	نظم في الشمائل وشرحه للمؤلف نفسه	وهو محفوظ بـ (م، ع، د، ب، إ). و(٤٧) ٤١٥.
محمـد الأمين بـن أبي المعالي (ت١٣٣٦هـ)	نظم أهل بدر	محقـق بـ (م، ع، د، ب، إ) سـجل السيرة النبوية: رقم٦١.
	السُّلَيل موسوعة في السيرة	يوجـد بـ (م، م، م، ب، ع) تحت الرقم (٩٢١)
	بضاعة الشفاعة	يوجـد بـ (م، م، م، ب، ع) تحت الرقم ١٢٤١

محمد تقي الله ابن محمد بيكر (ت١٤٠٣هـ)	نظم سلم النجاة في غزوات سيد الهداة	محقق بـ (م، ع، د، ب، إ). سجل السيرة النبوية: رقم٢٥.
محمد الخضر بن حبيب (ت ١٣٤٦هـ)	تشريع الجوازي في شرح المغازي	توجد نسخة منه بـ (ز، ش، م، م)
محمد سالم بن المختار ابن ألما (١٣٨٣هـ)	الشفا فيمن برئ على يد المصطفى	مرقون
	سبائك اللجين في الصلاة على سيد الكونين	مرقون
محمد عال بن أحمذو ابن زياد (ت١٣٥٩هـ)	نظم أزواج زوجات الرسول ﷺ وذرياتهن قبل أن يتزوجن	وهو محقق بـ (م، ع، د، ب، إ) سجل السيرة النبوية: رقم٥٠.
محمد عبد الله ابن محمد آسكر (١٤١٣هـ)	تحفة الجمهورية الإسلامية في نظم السيرة النبوية بالحسانية	وهو نظم باللهجة الحسانية يقع في ٤٠٠٠ تافلويت. أي مصراع. يوجد بمكتبة آل محمد آسكر.
	الترغيب في الصلاة على النبي ﷺ	يوجد بـ (م، م، م، ب، ع) تحت الرقم ٢٤١٠
	تحفة أهل الاصطفا في غزوات المصطفى ﷺ	يوجد بـ (م، م، م، ب، ع) تحت الرقم ٦٤٧
	فرصة الأولاد في تاريخ السيرة بالأولاد	يوجد بـ (م، م، م، ب، ع) تحت الرقم ٣١٩٤
محمد فال بن آبني التامكلاوي (ت١٣٠٩هـ)	شرح ما بقي على «حماد» من عمود النسب	يوجد بـ (م، م، م، ب، ع) تحت الرقم ٢٢٧٧
	العيون الجواري على منظومة الطواري	يوجد بـ (م، م، م، ب، ع) تحت الرقم ٣٤٠٣
	بغية المعاصر والتالي لشرح شهداء ابن متالي	يوجد بمكتبة أهل أبتاه بـ «بافريشية» ١٥٠ كلم تقريبًا جنوب العاصمة انواكشوط
	تحفة الطالبين بشرح نظم أمهات المومنين	يوجد بالمكتبة الآنفة

	نظم ما في القاموس من الصحابة	يوجد بـ (م، م، م، ب، ع) تحت الرقم ٢٢٨٥
محمد فال (ببها) ابن محمذن الديماني (ت١٣٣٤هـ)	كتاب الصحبيات راويات الحديث ومروياتهن	وهو محقق بـ (م، ع، د، ب، إ) سجل السيرة النبوية رقم ٢.
	نفحة الياسمين في الصلاة على سيد الكونين ﷺ	يوجد بـ (م، م، م، ب، ع) تحت الرقم (٢٨٢٣)
	نظم حوادث سني الهجرة النبوية	محقق بـ (م، ع، د، ب، إ) سجل السيرة النبوية. رقم١٠١.
	نظم المؤمنين من بني هاشم وهو المسمى بـ "رب بطه"	مخطوط بحوزتي
محمد فال (اباه) بن عبد الله (معاصر)	نيل السول من شمائل الرسول ﷺ	مطبوع
	توشيح حوادث السنين لمحمد فال بن محمذن (ببها)	مطبوع
محمد النابغة بن عمر الغلاوي (ت١٢٤٥هـ)	فتح المرَبي على صلاة ربي	مطبوع
	أنوار البروق في شرح قصيدة الشيخ أحمد زروق	مطبوع
محمد محمود بن أحمذو بن زياد الديماني (ت١٣٤٣هـ)	هالة البدر على أهل بدر	لم أتمكن من الوقوف عليه رغم الجهود التي بذلت في ذلك.
محمد المختار بن اباه (معاصر)	موكب السيرة	مطبوع
	إشراق البدر على أهل بدر	مطبوع
محمد المصطفى بن محمد يحظيه	نظم في الشمائل وشرحه	توجد منه نسخة بـ (م، ع، د، ب، إ). و(٦٣) ٢٩٣.
محمدن بن أحمدو فال التندغي (ت ١٣١٣هـ)	نظم الشمائل	محقق ر(م، ع، د، ب، إ) سجل السيرة النبوية: رقم ٢٣.

محمدن بن محمد النابغة «الدين» (ت ١٣٨٢هـ)	شرح الغزوات	يوجد بالمكتبة السابقة
محمدن بن عبد الصمد بن عبد الملك الآبيري (ت١٣٨٢هـ)	بلغة المحتاج من سيرة المخصوص بالمعراج	وهو مطبوع ومحقق بـ (م، ع، د، ب، إ) سجل السيرة النبوية. رقم١٠٥.
محمدو بن عبد الله الملقب «تب» (ت ١٣٦٤هـ)	مروي الظمآن على غزوات سيد الأكوان	يوجد بمكتبة العلامة محمد يحيى ابن سيد أحمد، بانواكشوط
محمد يحيى بن سيد أحمد المجلسي (معاصر)	روض الندى بشرح نظم الشهداء	مطبوع
	سموط الذهب بشرح عمود النسب	يوجد بمكتبة مؤلفه بمقاطعة توجنين، في انواكشوط
	شرح من صحب من نسل عبد المطلب	موجود بمكتبة المؤلف
	الحلل المحبرة بشرح نظم أمهات العشرة	يوجد بالمكتبة السابقة
	شرح وتذييل لنظم الدول	يوجد بالمكتبة السابقة
	تحفة الطلاب بشرح نظم خاتمة الأنساب	مطبوع
محمد يحيى بن محمد المامي (ت ١٤٠٠هـ) تقريبًا	نكت الغزوات	يوجد بـ (م، م، م، ب، ع) تحت الرقم ٢٨٣٦
محمد محمود بن عبدالفتاح الآبيري (ت ١٢٩٦هـ)	الفوائد الدرر في سيرة خير البشر	محقق بـ (م، ع، د، ب، إ) سجل السيرة النبوية. رقم ٧٦-١٠٨.
	الغيث الهطول في نعوت الرسول ﷺ وشرحه المسمى بالجدى العجول	محقق بـ (م، ع، د، ب، إ) سجل السيرة النبوية. رقم١٥.

	صفات الرسول ﷺ	محقـق بـ (م، ع، د، ب، إ) سـجل السيرة النبوية: رقم٦٧.
	نظم في صفات الرسول ﷺ	محقـق بـ (م، ع، د، ب، إ) سـجل السيرة النبوية. رقم٦٧.
محمـــد مولـود بـن عبـدالله اليعقوبي (ت ١٣٢٣هـ)	الخصائص	وهـو محقـق بـ (م، ع، د، ب، إ) سجل السيرة النبوية. رقم١٣.
محمـذ فال بـن متالي التندغي (ت١٢٨٣هـ)	نظم أخلاق النبي ﷺ	مخطوط بحوزتي
	نظم الشهداء	مخطوط بحوزتي
محمذن (سـيلوم) بن محنضـ بابه الديماني (معاصر)	دليل باغي الحق لعلم بعض خلق خير الخلق	مطبوع
	قرة العينين في غزوات سيد الكونين	مرقون
	نظم في فضل النبي ﷺ	يوجـد بـ (م، م، م، ب، ع) رقـم ١٧٠
	من عذبوا في الله ونصـرهم الله	يوجـد بـ (م، م، م، ب، ع) رقـم ١٧١
المأمـون بـن محمد بن الصويف (ت ١٢٣٥هـ)	شرح قرة الأبصار	توجد نسـختان منه بـ (م، م، م، ب، ع) رقم ٢٧٩٠- ٢٢٨٣
المختار بـن ألما اليدالي (ت١٣٠٨هـ)	نظم أهل الصفة	مخطوط بحوزتي
المختـار بـن بيبـات اليدالي (ق١٤هـ)	نظم الخلفاء الراشدين	محقـق بـ (م، ع، د، ب، إ) سـجل السيرة النبوية. رقم١٠٤.
المختـار بـن محمـدا الديماني (معاصر)	زيادة لنظم قرة الأبصار	يوجد بحوزة المؤلف بقرية إكرم
	نظم في مشاهير الأنصار	يوجد بالمكتبة السابقة
	نظم في الشمائل	يوجد بالمكتبة السابقة

الخاتمة

في أعقاب هذه الصفحات التي كنا نتحدث فيها عن الكتابات الشنقيطية في علم السيرة النبوية، نكون قد وصلنا إلى خاتمة ما أردنا جمعه عن هذا الموضوع، راجين من الله تعالى أن نكون قد وُفقنا في لفت النظر إلى هذا الموضوع المهم، وذلك حسبنا، فيتجه إليه جهابذة الباحثين الذين هم أرسخ منا قدمًا في العلم وأفصح بيانًا، فيكتبوا عنه ما يشفي غليل الباحثين، ويروي ظمأ الطالبين.

ولا بأس أن نذكر هنا بعض الملحوظات والاستنتاجات التي دونَّاها أوان كتابة هذه الصفحات، ومن أهمها ما يأتي:

- أن الطبيعة البدوية وما صاحبها من ترحال وتنقل كانت سببًا مهمًّا في تأخر ظهور التأليف عند الشناقطة، مع ما صاحبها من عدم توفر وسائل التأليف المادية من حبر وقرطاس ونحو ذلك.

- أن الشناقطة كانوا يتحرجون من التأليف، ولا يشتغل به منهم إلا من كان مخاطرًا ومعرِّضًا نفسه للانتقادات؛ وهذا السبب بالإضافة إلى سابقه قد شكلا عائقًا بارزًا -من وجهة نظرنا- في ظهور التأليف بهذا القطر.

- كما نسجل هنا أن الشناقطة أولوا السيرة النبوية عناية خاصة، ولاسيما بعض المحطات المهمة منها؛ مثل الغزوات، وخصوصًا غزوة بدر الكبرى، التي أفردوها بالتأليف مرارًا دون باقي الغزوات، وكذلك ما يتعلق بحوادث السنين، وأهل الصُّفَّة... وذلك ما يظهر جليًّا من خلال السرد البيبلوغرافي المتقدم.

- أن الشناقطة أثروا المكتبة الإسلامية بمؤلفات مهمة ومتنوعة حول السيرة النبوية، منها المطول والمختصر، والمنثور والمنظوم.

- كما أنهم كانوا يتدارسون مواضيع السيرة النبوية ويتبادلون فيها الألغاز والأحاجي، وينظمون ذلك في مقطوعات شعرية.

- التعلق الشديد لدى الشناقطة بالجناب النبوي وبكل ما يمت إليه بصلة،

وذلك ما تجلى في مدائحهم وقصائدهم المطولة والمحكمة السبك والموجهة في مدح النبي ﷺ، وذلك بأساليب جديدة على الأدب العربي، وفي بحور تجديدية على العروض.

- القدرة الفائقة لدى الشناقطة على النظم والأخذ بناصية القريض، حيث استطاعوا أن ينظموا كتبًا ضخامًا في مواضيع السيرة النبوية جميعها، التي لا تخلو في أكثر الأحيان من العُجمة والصعوبة اللفظية في بعض الأسماء والأماكن والبلدان.

- وفي الأخير، فإننا نقر بأن هذا الجهد جهد بشري، يعتريه ما يعتريه من الخلل والزلل، وسيبقى محتاجًا إلى مزيد من الأبحاث والدارسات التي تعضده وتشد أزره في هذا الصدد الخلو من الدراسات، وذلك ما نرجو أن يتم في دراسات لاحقة بحول الله.

الهوامش:

(*) أستاذ مادة الحضارة الإسلامية بجامعة محمد الأمين الشنقيطي- انواكشوط/ موريتانيا.

(١) تنظر المقولات في مقدمة كتاب العلامة محمد اليدالي: **الحلة السيرا في أنساب العرب وسيرة خير الورى**، ص (٤-٥) مخطوط بزاوية الشيخ محمد اليدالي.

(٢) هو محمد بن المختار بن محمد سعيد بن المختار اليدالي، كان -رحمه الله تعالى- شاعرًا ناثرًا، ألف مؤلفات عديدة؛ منها: **الذهب الإبريز في تفسير كتاب الله العزيز**، و**فرائد الفوائد في شرح قواعد العقائد**، و**الحلة السيرا في أنساب العرب وسيرة خير الورى**. توفي سنة (١١٦٦هـ) ترجمته عند للبرتلي: **فتح الشكور**، ص (١٢٦). وأحمد بن المين: **الوسيط في تراجم أدباء شنقيط**، ص (٢٢٣).

(٣) الشيخ محمد اليدالي: **فرائد الفوائد في شرح قواعد العقائد**، ص (٤) مخطوط بزاوية الشيخ محمد اليدالي.

(٤) الشيخ محمد اليدالي: **فرائد الفوائد في شرح قواعد العقائد**، ص (٤) مرجع سابق.

(٥) محمد عبد الله بن البخاري: كتاب **الأنهار الجارية في مآثر اليعقوبية**، ص (٢٢) مرقون.

(٦) هو عبد الله بن سيدي الفاضل بن سيدي بن بارك الله فيه بن محمد المكنى بأبي زيد، أحد العلماء العاملين، وعباد الله الصالحين، كان متفننًا في علوم شتى. توفي رحمه الله سنة (١٢٠٩هـ). تنظر

ترجمته عند البرتلي في: **فتح الشكور**، ص (١٦٩-١٧٠).

(٧) هو أحمد البدوي بن محمدا بن أبي أحمد المجلسي (ت ١٢٠٨هـ) عالم نظامة، أحيا أنساب العرب بنظمه عمود النسب الشريف، ونظم مغازي النبي ﷺ، وهما من المتون المعتمدة في المحضرة الشنقيطية. ترجمته عند الزركلي: في **الأعلام**: (٢٤٥/١) والخليل النحوي: **المنارة والرباط**: ص (٥٠٣).

(٨) أحمد البدوي: **عمود النسب الشريف**، ص (٢٠).

(٩) محمد عبد الله بن البخاري: كتاب **الأنهار الجارية في مآثر اليعقوبية**، ص (٢٢) مرقون.

(١٠) تيرس: هي ولاية في الشمال الموريتاني تبعد حوالي ٦٠٠ كلم من العاصمة انواكشوط، وهي الولاية العاشرة من حيث التقسيم الإداري.

(١١) الطُّرثوث: بالضم الكمرة، ونبت يؤكل، وفي المحكم: نبت رملي طويل مستدق كالفطر، يضرب إلى الحمرة ويبس، وهو دباغ للمعدة، واحدته طُرثُوثة، وهو ضربان: فمنه حلو وهو الأحمر، ومنه مر وهو الأبيض. وقال ابن الأعرابي: الطرثوث: نبت على طول الذراع، لا ورق له، كأنه من جنس الكمأة. الزبيدي: **تاج العروس من جواهر القاموس**، مادة طرثوث (٦٣١/١).

(١٢) الشيخ محمد اليدالي: **فرائد الفوائد في شرح قواعد العقائد**، ص (٤) مرجع سابق.

(١٣) الخليل النحوي: **المنارة والرباط**، ص (٢٣٩).

(١٤) المختار بن حامد: **حياة موريتانيا**، (٥٢/٢). والخليل النحوي: **المنارة والرباط**، ص (٥٥١).

(١٥) البرتلي: **فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور**، ص (١٦٢).

(١٦) السابق، ص (١٣٧).

(١٧) المختار بن حامد: **حياة موريتانيا**، (٥٢/٢). والخليل النحوي: **المنارة والرباط**، ص (٥٥١).

(١٨) البرتلي: **فتح الشكور**، ص (١٦٢).

(١٩) محمد اليدالي: **الحلة السيرا في أنساب العرب وسيرة خير الورى**، ص (٣) مرجع سابق.

(٢٠) أحمد الأمين الشنقيطي: **الوسيط في تراجم أدباء شنقيط**، ص (٤-٨).

(٢١) الزوايا: مصطلح يطلقه الشناقطة يقصدون به الطبقة المشتغلة بالعلم والتدريس والتصنيف. والقبلة يطلقونها على الجهة الجنوبية الغربية من موريتانيا.

(٢٢) الأبيات أوردها حماد بن الأمين المجلسي: **شرح عمود النسب**: (٧٤٧/٢) وأحمد بن الأمين: **الوسيط**: ص (٣٥٢-٣٥٣)

(٢٣) هو العلامة محمدا بن أبي أحمد المجلسي، أحد العلماء البارزين، والسادة المعروفين، والشعراء المجيدين، أسس محضرة من أوائل المحاضر الشنقيطية، توفي في صدر القرن الثاني عشر. تنظر ترجمته عند حماد بن الأمين المجلسي: **شرح عمود النسب**، (٧٤٨/٢)

(٢٤) الأبيات أوردها حماد بن الأمين المجلسي: **شرح عمود النسب**، (٧٤٨/٢) وأحمد بن الأمين: **الوسيط**، ص (٣٥٣)

(٢٥) سيد أحمد بن اسمه: **ذات ألواح ودسر**، ص (١٠٣) مخطوط بالمعهد الموريتاني للمخطوطات والبحث العلمي. محفوظ تحت الرقم: (٢١٧٩).

(٢٦) محمد اليدالي: **الحلة السيرا**، ص (٢) مرجع سابق.

(٢٧) محمد اليدالي: **الحلة السيرا**، ص (٤٧١) مرجع سابق.

(٢٨) أحمد البدوي: **عمود النسب الشريف**، ص (٢٠-٢٢).

(٢٩) أحمد البدوي: **عمود النسب الشريف**، ص (٨٥).

(٣٠) مثلما حصل لهم مع **نظم أهل بدر** للسجلماسي الذي نسبوه إلى أكثر من واحد من العلماء الشناقطة، كما نسبوا نظمًا لأهل بدر إلى العلامة عبد الله بن امين الديماني، وبعدما زرته وسألته عنه قال إنه لم ينظمه قط، بل ربما نقل بعض أنظام السابقين لهم.

(٣١) هذه الرموز نشير بها إلى المعهد لعالي للدراسات والبحوث الإسلامية.

(٣٢) هذه الرموز نشير بها إلى المعهد الموريتاني للمخطوطات والبحث العلمي.

(٣٣) هذه الرموز نشير بها إلى زاوية الشيخ محمد المامي.

(٣٤) هذه الرموز نشير بها إلى زاوية العلامة محمد اليدالي.

شرح لامية العرب بين المبرد والتبريزي
دراسة في توثيق النسبة[1]

سامح السعيد[*]

لقد تميز تراثنا العربي باهتباله بالنصوص المؤسسة في شتى المجالات ومنها: مجال علوم العربية، ذلك أن النص الذي سيدور عليه محور الحديث في هذا البحث يُعدُّ من النصوص التي اعتمدها النُحاة في الاحتجاج اللغوي والاستشهاد النحويّ؛ إذ استخرجوا منه ستة عشر شاهدًا نحويًا[2].

إنه نص الشاعر الجاهلي الشنفرى في قصيدته الشهيرة بلامية العرب، هذه القصيدة البديعة التي ملأت الدنيا وشغلت العلماء بما لقيته من اهتمام كبير، تمثَّل في الكم الهائل من الشروح والتعليقات التي صُنِّفَت حولها، ناهيك عن تداول الرواة لها، وتناقل العلماء لشروحها بالدرس والتحليل حتى بلغ عدد شروحها - على مبلغ علمي - ٤٥ شرحًا، منها ٢٦ شرحًا مخطوطًا، و٣ شروح مفقودة، و١٢ شرحًا محققًا مطبوعًا، و٤ شروح غير مفردة، هذا غير الشروح مجهولة المؤلف[3]، بالإضافة إلى ١٢ شرحًا معاصرًا، وكذا ١٢ بحثًا ودراسة علمية في الدوريات والمجلات المحكَّمة[4].

وكان من بين هذه الشروح الكثيرة نصوص جُهِلَت نسبتها، وغابت عنَّا أسماء مؤلفيها، فتعجل بعض المشتغلين بالبحث التراثي إلى نسبتها إلى غير أصحابها

دون تحرٍّ دقيق، وبغير أدلة قوية تُثْبِتُ ما ذهبوا إليه.

ومـن ذلك ما وقعتُ عليه من صـنيع أ.د محمود محمد العامودي، الذي عَثَرَ على نسـخة مجهولة لشرح لامية العرب من مكتبة برلين، ونفى صحة نسبتها إلى المبرد، وأثبتها للتبريزي، فوقع في الوهم والخطأ[٥].

فلمـا وقفت على دراسـته هـذه التي نفى فيها نسـبة هذا الشـرح إلى المبرد (٢٨٥هـ) اسـتوقفتني أدلته الأربعة، فأردت أن أنقد هذا الطرح، وأبين مواضـع الخلل فيه، ومن الله وحده أستمد العون وأستلهم السداد والتوفيق.

- بداية أذكر أدلته الأربعة إجمالاً ثم أناقشها تفصيلاً إن شاء الله:

١. عدم ذكر القدماء ممن ترجموا للمبرد أن له شرحًا على لامية العرب.

٢. إنكار قراءة المبرد على ثعلب؛ لشدة المنافسة بينهما.

٣. قد يكون مؤلف هذا الشرح عالمًا آخر غير ثعلب أو المبرد.

٤. وجود تشـابه كبير بين الشـرح المطبوع والمنسوب إلى المبرد في إستنابول عام ١٣٠٠هـ، والشرح مجهول المؤلف الذي وجد نسخته ببرلين.

مناقشة الأدلة

مناقشة الدليل الأول:

- عدم ذكر القدماء ممن ترجموا للمبرد أن له شرحًا على لامية العرب.

قلت: ليس شرطًا إذا لم ينص أحد ممن ترجم لعالم على كون كتابٍ بعينه له، فإن هذا الكتاب لا يكون له؛ فليس من شـرط صـانعي التراجم القدماء استيعاب مؤلفات المُتَرْجَمين كلها، وإنما يكتفون بالإشارة إلى بعضها.

وكم عرفنا مخطوطات مجهولة النسـبة إلى مؤلفيها، وبعد البحث والدراسة

الداخليـة لهـذه النصـوص أُثْبِتَـت إلى أصـحابها، وهـذا هو جديـد العلم ولذة اكتشافه، ولا حرج في ذلك طالما كان قائمًا على الحجة والدليل والبرهان.

مناقشة الدليل الثاني:

- إنكار قراءة المبرد على ثعلب لشدة المنافسة بينهما.

واستدل بنص ورد في شرح البيت ١٤: «السقبان جمع سقب، وهو ولد الناقة الصغيرة، قال الأصمعي: أول ما يقال لولد الناقة لما يسقط من بطنها سليل، وهو قبـل أن يعلـم ذكر هو أم أنثى، ثم يقال بعد ذلك إذا تبين سـقبًا وحوارًا، والأنثى سقبة، والذي قرأناه على أبي العباس أحمد بن يحيى سقبانها».

ثـم قـال – أي الدكتور –: «وأقول: متى قرأ المبرد علـى ثعلب؟ إن هذا لأمر عجاب؛ فإن شـدة المنافسـة بينهما تحول أن يقرأ أحدهما على الآخر، وقد حكى أبـو بكر بن السـراج عن محمـد بن خلف، قال: كان بين أبـي العباس المبرد وأبي العباس ثعلب من المنافرة ما لا خفاء به». ا. هـ

في البدايـة أقول مستئنسًـا بما ذكره أبو القاسـم عبد الرحمن بن إسـحاق الزجاجـي (٣٤٠هـ) في كتابه **مجالس العلماء** من كثرة اجتمـاع المبرد وثعلب في دار محمد بن عبد الله بن طاهر، وما أثير بينهما من مسـائل كثيرة في النحو وغيره من العلوم في هذه الدار[٦].

وفي ذلـك دليل ظاهر على جـواز نقل أحدهما عن الآخر، ولا سـيما أن هذه المجالـس ومـا دار فيها قـد نُقِلَت إلينا، ومـن الممكن أن كلاً من المـبرد وثعلب أو الحضـور قد نقل ما دار في هذه المجالس من مسـائل وفوائد ومناظرات لطلابه وأصحابه لعظم فضيلة نشر العلم وإذاعته بين الناس، وتأثمًا من كتمانه.

وقد كان المبرد يحب الاجتماع بثعلب، وإنما ثعلب هو الذي كان يكره ذلك كما ذكره أبو بكر محمد بن الحسـين الزبيدي في كتابه **طبقات النحويين واللغويين** عندما ترجم لثعلب[٧].

كما أن التاريخ لا يسعفنا لنقول: إن هذا الشرح كان بعد المنافرة أو قبلها، ولا منافاة بينه والمنافرة، وإلا فقد أثنى المبرد على ثعلب كما ذكر أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ابن الأنباري (٥٧٧ هـ) في كتابه **نزهة الألباء في طبقات الأدباء** عندما ترجم لثعلب، قال:

«قال المبرد: «أعلم الكوفيين ثعلب»، فذكر له الفراء، فقال: «لا يَعْشِرُه»؛ أي: لا يبلغ عُشْرَهُ في العلم والمنزلة»[٨].

وذكر الزبيدي في: **طبقات النحويين** أن المبرد وثعلب كانا إذا تلاقيا على ظهر الطريق تساءلا وتواقفا، رحمهما الله[٩].

وأُحِيل هنا إلى ما كتبه الشيخ المحقق د. محمد عبدالخالق عضيمة - رحمه الله - في مقدمة تحقيقه كتاب **المقتضب** للمبرد تحت مبحث: الخصومة بين ثعلب والمبرد ص٢٩-٣٣ ففيه مزيد بيان.

مناقشة الدليل الثالث:

- قد يكون مؤلف هذا الشرح عالِمًا آخر غير ثعلب أو المبرد.

واستدل بنص ورد في شرح البيت ٤١ وهو: «أُحَاظَة فيما ذكر أحمد بن يحيى قبيلة من الأزد، وقال لي غيره: هي قبيلة من اليمن، ولم يَعْرِفْهَا أبو العباس محمد ابن يزيد، ولم أسمع بها إلا في هذا الشعر».

أي إن التبريزي - كذا على حد نسبته الشرح - لم يسمعها إلا في هذا الشعر المذكور، ثم قال: «وهذا النص يبرهن على أن المؤلف شخص ثالث غير أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب وأبي العباس محمد بن يزيد المبرد». اهـ.

قلت: وهذه القراءة السابقة غير صحيحة إطلاقًا، بل جانَب أستاذنا الصواب فيما ذهب إليه من قراءة، ولكن في النسخ الستة التي بحوزتي[١٠] طالعت النص هكذا، وتأمل فرق ما بين القراءتين يتبين لك الصواب، يرحمك الله:

«أُحَاظَةُ فيما ذكر أحمد بن يحيى: قبيلة من الأزد، وقال لي غيره: هي قبيلة من اليمن ولم يُعَرِّفْهَا.

قال أبو العباس محمد بن يزيد: ولم أسمع بها إلا في هذا الشعر».ا.هـ

أي إن الـذي أخبره أنهـا قبيلة من اليمن لم يحددهـا ويُعَيِّنْهَا بعينها، ولكنه نَكَّرَها؛ أي: جعلها نكرة.

وهذا هو الضـبط الصـحيح والقراءة الصـحيحة للنص، إن شاء الله. هذا أولاً.

والأمر الآخر أنه في جميع النسـخ الست، وجدت كلمة (قال) مثبتة قبل «أبو العباس محمد بن يزيد»، ولم تسـقط من أيِّهَا مطلقًا، وعدم وجودها في النسـخة البرلينيـة مجهولـة المؤلف - على أحسـن تقديـر - أو حذفها وإسـقاطها - على أسـوأ تقدير - كما رأيتم غيّر المعنى تمامًا وحَرَّفَه، وجعل أسـتاذنا يخرج بنتيجة مغلوطة.

مناقشة الدليل الرابع:

- وجود تشابه كبير بين الشرح المطبوع والمنسوب إلى المبرد، والشرح مجهول المؤلف الذي وجد نسخته ببرلين.

قلت: والحق أن هذا ليس فيه دليل البتة، فإن العلماء القدامى كانوا يتساهلون في مسألة عزو الأقوال إلى أصحابها، مؤمنين بأن العلم رحم بين أهله.

فلا مانع في كون الشـرح للمبرد، ويكون التبريزي قد اطلع على شرح المبرد، ونقل عنه أشـياء كثيرة دون نسـبتها وعزوها إليه، لاسـيما وقد اشتهر التبريزي بهذا الصنيع في كتبه وسائر مؤلفاته.

وهذا الكلام يقال إن سَلَّمنا أولاً بأن هذا الشرح المجهول هو للتبريزي.

وإلى هنا تنتهي الأدلة الأربعة التي ذكرها الأسـتاذ - حفظه الله - في بحثه السابق.

ومن الأدلة التي تُقوي القول بعدم صـحة نسـبة هذا الشرح للتبريزي: ورود

إسناد في النص عند شرح البيت ٢٥ من اللامية، وهو:

«وأخبرني الفضل اليزيدي عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي أن الأصمعي سأله ...».

وبعد دراسة هذا الإسناد هكذا: المبرد عن الفضل اليزيدي عن إسحاق الموصلي عن الأصمعي، تبين أنه إسناد صحيح متصل، وأما أن يقول التبريزي: أخبرني الفضل اليزيدي بهذا الإسناد المذكور، فلا يصح تاريخيًا مطلقًا، بل استحالة ذلك لأمرين:

- الأول: بعد مراجعة كتب التراجم والطبقات وجدت أن الفضل بن محمد أبا العباس اليزيدي توفي سنة (٢٧٨هـ)[١١] وأن الخطيب التبريزي[١٢] ولد سنة (٤٢٠هـ)، أو سنة (٤٢١هـ) على قولين، فبين وفاة الفضل اليزيدي ومولد الخطيب التبريزي قرابة قرن ونصف، وتحديدًا ١٤٢ سنة، أو ١٤٣ سنة على الأكثر.

فهذا كما ترون إسناد معضل شديد الانقطاع كما ترى بين اليزيدي والتبريزي، فأنَّى للتبريزيّ أن يقول: «وأخبرني الفضل اليزيدي»، وتصح هذه الرواية.

ومن العجيب المستغرب الباعث على الدهشة أن الدكتور محمود العامودي في تحقيقه هذا الشرح المجهول الذي نسبه إلى التبريزي قد ترجم في الحاشية للفضل اليزيدي، وذكر سنة وفاته ولم ينتبه لذلك، ولكل جواد كبوة.

وهذه صورة من تحقيقه[١٣]:

وأخبرني اليزيدي[١] عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي[٢]، أنّ الأصمعي سأله

(١) الفضل بن محمد بن أبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي (٢٧٨) إنباه الرواة ٣/ ٢٧، وأعجب العجب ٣٦.
(٢) هو إسحاق بن إبراهيم بن ميمون التميمي الموصلي أبو محمد، ابن النديم، من أشهر ندماء =

- الأمر الآخر: من خلال معرفتنا لتلاميذ الفضل اليزيدي فيمن ترجم له

في كتب التراجم والطبقات، وجدناها قد سلكت المبرد في نظم تلاميذه، لاسيما أن اليزيدي قد تُوفي قبل المبرد بسبع سنوات.

ومن نافلة القول إن المبرد وشيخه اليزيدي قد اشتركا في الرواية والأخذ عن أبي عثمان بكر بن محمد المازني البصري (٢٤٧هـ)[١٤] والقراءة عليه.

وقد راجعت كتب التراجم التي ذكرت التبريزي[١٥] فوجدت أن الوحيد الذي ذكر له شرحًا على اللامية هو عبد القادر البغدادي (١٠٣٠هـ - ١٠٩٣هـ) في كتابيه **خزانة الأدب** – وهو شرح لشواهد **شرح الكافية للإستراباذي** – انظر (٣/ ٣٤١)، و(١١/ ٣٤٩-٣٥٠)، وحاشيته على **شرح بانت سعاد**. انظر (١/ ٤٢٣)، (٢/ ٤٩٤). فانظر كيف لم ينتبه أحدٌ ممن ترجموا للتبريزي إلى ذكر شرحه على لامية العرب، وذكره عبد القادر البغدادي وحده في القرن الحادي عشر!!

وأما عن النسخ المخطوطة لشرح التبريزي على **لامية العرب**، فقد ذكرت كتب الفهارس أنها ثلاث نسخ، ذكر فؤاد سيزكين منها نسختين[١٦]:

١- آيا صوفية (٣٩٣٣ / ٢)، وقد طالعت صورتها بمكتبة شيخنا المُحَدِّث الرَّحَّالة وخبير المخطوطات أبي يعقوب عبدالعاطي محيي الدين الشرقاوي - جزاه الله عني خيرًا ونفع به - وتبين أنها نسخة بخط نفيس مُجَوَّد من شعر الحادرة.

٢- فيض الله أفندي (١٦٦٢/ ٩٠ب – ٩٣أ) في ست صفحات، وقد طالعتها كذلك بمكتبة شيخنا أبي يعقوب، ومنَّ عليَّ بصورة لها، فوجدتها نسخة من **لامية العرب** ضمن مجموع أوله:

شرح المعلقات للتبريزي، ثم **ديوان النابغة الذبياني**، ثم **لامية العرب** هذه، ثم **ديوان حسان**، ثم **شعر الحادرة**، ثم **شعر لقيط بن يعمر**، ثم **شعر النابغة الجعدي**، ثم **شعر عمر بن أبي ربيعة**، ثم **قصيدة عن الأصمعي وأبي عبيدة** من رواية أبي حاتم السجستاني، ثم **شرح التبريزي على قصيدة بانت سعاد** لكعب

بن زهير، و آخره **قصيدة لبشر بن عوانة في وصف قتل أسد.**

وهاكم صورة لغلاف المجموع الخطيّ، ونص القصيدة كاملة منه:

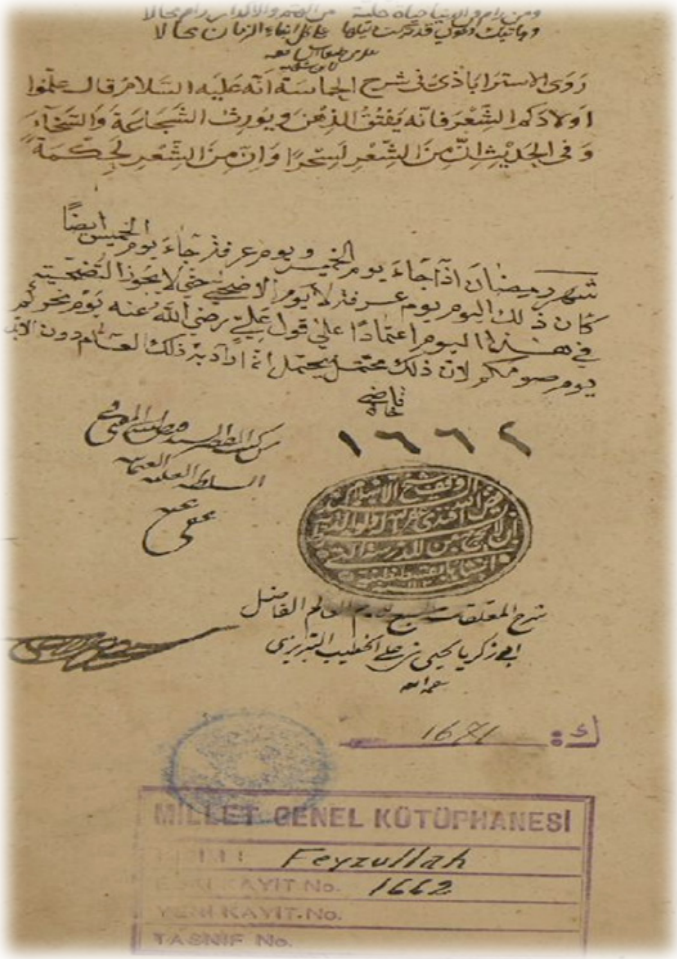

تمّ ديوان النابغة الذبياني

قال الشنقيطي بن ملبد الأزدي
والقصيد نعت بلامية العرب

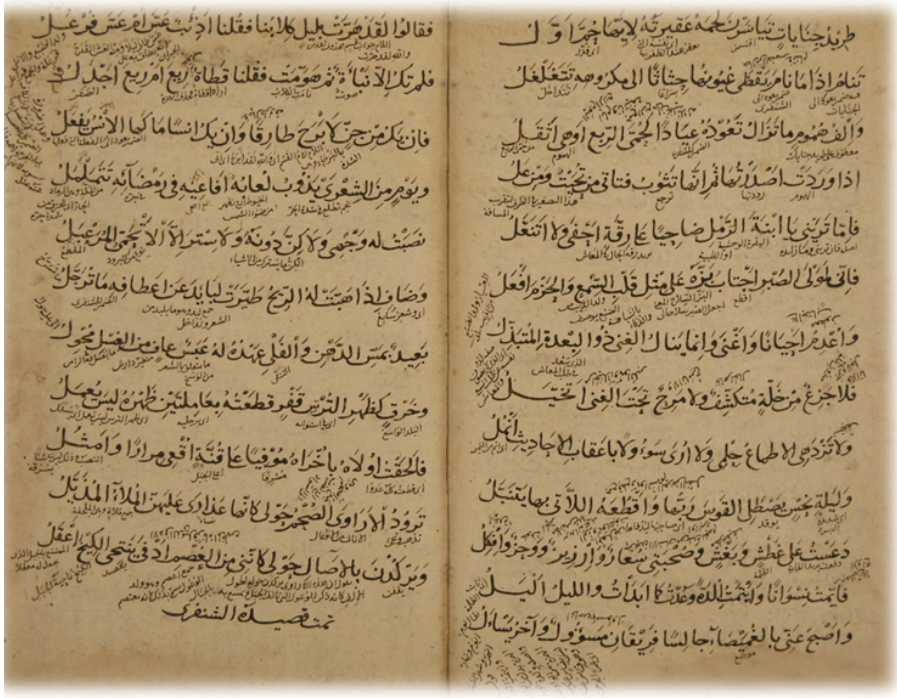

وأمـا كارل بروكلمان[١٧] فقد ذكر أن للتبريزي شـرحًا للامية العرب بمكتبة جامعـة برنسـتون الأمريكية، وقـد كفانا د. محمـود العامودي الـكلام عن هذه النسخة، فقال - حفظه الله -: «وقد صَوَّرتِ الجامعة الأردنية هذا الشرح، وبعد حصولي على نسخة منه تبين لي أن هذا الشرح هو **إعراب لامية الشنفرى** لأبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري (٦١٦ هـ)»[١٨].

وعليه، فيمكن القول إن شـرح التبريزي للامية العرب من الشروح المفقودة أيضًا، والله أعلم بالصواب.

وقد يستشـكل البعض ويحتج قائلاً: إن أسلوب المبرد في هذا الشرح مختلف عن أسـلوبه في بقية كتبه، وإلا كيف يشرح المبرد **لامية العرب** ولا يتعرض لمسائل النحو أو الصرف، لاسيما وأن في اللامية ستة عشر شاهدًا نحويًا؟!

والجواب على هذا من وجهين:

- الأول: إن الكتابة العلمية والتصنيف والتأليف يرجع أولاً إلى حال المتلقي للعلم، فالمؤلف يكتب لغيره غالبًا، لا لنفسه بغية نشر العلم، كما أن طلبة العلم ليسوا على حالٍ واحدة؛ فمنهم المبتدئ والمتوسط والمنتهي؛ لذلك فإن المؤلف قد يتنَّزل في بعض تآليفه حسب مستوى طلابه، وأضرب مثالاً بالتبريزي نفسه، فإن له ثلاثة شروح على **ديوان الحماسة** لأبي تمام: كبير ومتوسط وصغير.

وعليه، فقد يكون هذا الشرح الصغير للامية المنسوب إلى المبرد من هذه البابة، وإذن لا داعي فيه من إثقاله بمسائل النحو والتصريف والاشتقاق، وإلا لخرج عن غايته التعليمية لصغار الطلبة ومبتدئيهم.

- الأمر الآخر: إن هذا الشرح المنسوب إلى المبرد لا يخلو من إشارات لبعض المسائل النحوية والصرفية والبلاغية، فلم يقتصر على شرح الألفاظ المفردة وفقط، بل تعداها إلى ما ذكرت آنفًا.

فمن المسائل النحوية:

قوله «جُبَّأً» في البيت ١٥:

ولا جُبَّأً أكْهَى مُرِبٌّ بِعِرْسِهِ يُطَالِعُهَا في شَأْنِهِ كَيْفَ يَفْعَلُ

حيث قال: «ولو نصب (جُبَّأً) على الموضع لصح».

وقوله عن كلمة «نُوحٌ» في البيت ٣٣:

فَضَجَّ وضَجَّتْ بِالَبراحِ كَأَنَّها وَإِيَّاهُ نُوحٌ فَوْقَ عَلْيَاءَ ثُكَّلُ

حيث قال: نُوحٌ مصدرٌ نُعِتَ به.

ومن المسائل الصرفية:

قوله في البيت ١٩: ومِحْيَار على وزن مفعال.

وقوله في البيت ٢٨: والنظائر: جمع نظيرة كعجيبة وعجائب وكبيرة وكبائر، وإنما يعني السَّلق، وهي إناث الذئب، الواحدة سلقة، فإذا أراد الذكور لم يجز عندنا إلا إذا اضطر الشاعر، كما قال الفرزدق:

وإذَا الرجالُ رَأَوْا يزيدَ رَأَيْتَهُم خُضْعَ الرِّقابِ نَوَاكِسَ الأبصَارِ

ففعائل عندنا من جمع المؤنث.

وقوله في البيت ٣٣: ومراميل: الجمع في الحقيقة مرامل، ولكنه أشبع الكسرة لما اضْطُرَّ فصارت ياءً.

وقوله في البيت ٣٨: والذقون: جمع ذقن في الكثرة، وفي القلة الأذقان.

وقوله في البيت ٥٣: والأجهال: الأطماع جمع جهل لغة شاذة، بل جمع جهل: جهول، وهي اللغة المستعملة.

ومن المسائل البلاغية:

استعمال الشارح الاستعارة في قوله في البيت ٢٠:

إذَا الأَمْعَزُ الصَّوَّانُ لاقَى مَنَاسِمِي تَطَايَرَ مِنْهُ قَادِحٌ وَمُفَلَّلُ

حيث قال: «المناسم في الأصل: أخفاف الإبل كالسنابك من الخيل فاستعارها لنفسه».

والتتميم في قوله في البيت ٢٣:

ولولا اجتنَابُ الذَّامِّ لم يُلْفَ مَشْرَبٌ يُعَاش بِهِ إلاَّ لَدَيَّ وَمَأْكَلُ

حيث قال: «ولولا... إلخ مبالغة في مدح نفسه»، وذلك أنه أخبر في البيتين قبله أنه يديم مطال الجوع ويستف ترب الأرض، فربما يتوهم متوهم أن ذلك لعجزه عما يشبعه فدفع ذلك بهذا البيت، وهذا يسمى عند علماء المعاني بالتتميم[١٩].

والتشبيه في قوله في البيت ٤٣:

وَأَعــدلُ مَـنْحُـوضٍ كـأَنَّ فُصُـوصَـهُ كَعَابٌ دَحَاهَا لاَعِـبٌ فَهْيَ مُثَّلُ

حيث قال: «شبهها في قلة لحمها وضمورها بكعاب ضرب بها».

وقد ساق المبرد في شرحه أشياء على سبيل المآخذ اللغوية على الشاعر، فجعلها من باب الضرورة الشعرية ومخالفة الصواب.

كقوله في البيت ٣٠: ومحابيض: الصحيح فيها محابض.

وقوله في البيت ٣٣: ومراميل: جمع مرمل ضرورة، والصحيح مرامل.

وقوله في البيت ٥٣: فجهول: هو الجمع الصحيح لجهل وليس الأجهال، فالأجهال لغةٌ شاذةٌ[٢٠].

وعليه فيمكن القول: إن هذا الشرح هو لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد إلى أن تظهر البينة على خلاف ذلك.

وأما الشرح الذي حققه د. محمود العامودي ونسبه إلى التبريزي، فلا يصح أن يكون له، ولاسيما أنه اعتمد نسخة مجهولة المؤلف ضمن مجموع بمكتبة برلين، ولم يذكر بياناتها، وأغلب الظن أنها نسخة مشوهة ممسوخة منقولة من شرح المبرد، والعلم عند الله.

وقد عقدت مقارنة بين نُقُول عبد القادر البغدادي في كتابه **خزانة الأدب** عن التبريزي في شرحه المفقود، والشرح الذي أخرجه العامودي عن نسخة مجهولة ببرلين ونسبه إلى التبريزي، والشرح المنسوب إلى المبرد الذي أعمل على تحقيقه:

نقول عبد القادر البغدادي في خزانة الأدب عن شرح التبريزي المفقود	الشرح الذي أخرجه العامودي عن نسخة مجهولة ببرلين، ونسبه إلى التبريزي	الشرح المنسوب إلى المبرد، والذي أعمل على تحقيقه

البيتـه :	البيتـه :	البيتـه :
العرفاء : الضبع التي تكون طويلة العرف، ليست ههنا بنعت ولكنها في الأصل نعتٌ، فغلب فصار بمنزلة الأسماء غير النعوت، حتى إنه يقال: جاءتكم العرفاء، فيُفهم من هذا القول: أن الضبع جاءت.	العرفاء : الضبع الطويلة العُرْف، وليس هاهنا بنعت، ولكنه في الأصل نعت، فقلب فصار بمنزلة الأسماء غير النعوت، حتى إنه يُقال: جاءتكم العرفاء، فيُفهم من هذا القول: إنه الضبع جاءت.	العرفاء: الضبع الطويلة العرف، وليس هاهنا بنعت، ولكنه في الأصل نعت، فغلب فصار بمنزلة الأسماء غير النعوت، حتى إنه يقال: جاءتكم العرفاء، فيُفهم من هذا القول: أن الضبع جاءت.
البيت ١٤:	البيت ١٣ :	البيت ١٤:
ـ المهياف: الذي يَبْعُدُ بإبله طلب الرعي على غير علم فيعطشها ويسيء بها.	ـ المهياف: الذي يبعد بإبله طلب المرعى على غير علم فيعطشها ويمشي بها.	ـ المهياف: الذي يبعد بإبله طلب المرعى على غير علم فيعطشها ويمشي بها.
ـ وروى ثعلب: سُقبَاتُها بجمع المؤنث السالم، والمحفوظ الأول.	ـ والذي قرأنا على أبي العباس أحمد بن يحيى: سُقبَاتُها، ولا يمتنع. والمحفوظ ما بدأت به.	ـ والذي قرأناه على أبي العباس أحمد بن يحيى: سُقبَاتُها. ولا يمتنع، والمحفوظ ما بدأت به.
ـ البهل: جمع باهلة وباهل، وهي المخلاة لا يتعهدها راعيها، ويقال: بَهَلَ الرجل، إذا مضى لا قيِّم عليه، وأبْهَلتَه إذا تركته مُخلى، والباهلةُ أيضًا: التي لا صرار عليها لترضعها أولادها، فتكون أسمن وأحسن	ـ والبهل: جمع باهلة وباهل، وهي المخلاة لا يتعهدها راعيها، وبه سميت باهلة، ويقال: بَهَلَ الرجل، إذا مضى لا قيِّم عليه، وأبْهَلتَه إذا تركته مُخلى، والباهلةُ أيضًا التي لا صرار عليها لترضعها أولادها ذلك أسمن لها.	ـ والبهل: جمع باهلة وباهل، وهي المخلاة ولا يتعهدها راعيها، وبها سميت باهلة، ويقال: بَهَلَ الرجل: إذا مضى لا قيِّم به، وأبْهَلتَه إذا تركته مُخلى، وباهلةُ أيضًا: لا صرار عليها لترضعها أولادها ليكون ذلك أسمن لها.

البيت ١٥:	البيت ١٤ :	البيت ١٥:
ـ الأكهى: هو الكدر الأخلاق الذي لا خير فيه، وقال ثعلب: هو البليد، مثلُ الكَهَام.	الأكهى: الكريه الأخلاق الذي لا خير فيه، قال أبو العباس: الأكهى: البليد، مثل الكهام والدّدانِ.	الأكهى: الكدر الأخلاق الذي لا خير فيه من جُبنه وضعفه، قال أبو العباس: الأكهى: البليد مثل الكهام للسيف الذي لا يقطع. والدران: السيف الكهام الذي لا يمضي.
البيت ٢٦:	**البيت ٢٥:**	**البيت ٢٦:**
ـ الأزلّ: الأَرَسَحُ، وبه يوصف الذئب الأَزَلّ الجائِع، ومن أمثالهم: لا أُنْسَ في الذئب الأزل الجائع، وذلك أنه يحمد من الفارس أن يكون أشعر الصدر، وأن يكون ممسوح الاست كالذئب. ـ الأطحل: الذي لونُه لون الطحال	ـ والأزل: الأرسح، وبه يوصف الذئب، يقال: أرسحَ وأرضع وأزلّ، ومن أمثالهم: لا أُنْسَ في الذئب الأزل الجائع، وذلك أنه يحمد من الفارس أن ممسوح الاست كالذئب. ـ الأطحل: الذي لونُه كلون الطحال.	ـ والأزل: الأرسح، وبه يوصف الذئب، يقال: أرسحَ وأرضع وأزلّ بمعنى واحد، ومن أمثالهم: لا أُنْسَ للذئب الأزل الجائع، وذلك أنه يحمد من الفارس أن يكون مصدر الشعر ذلك الموضع، وأن يكون ممسوح الاست كالذئب. ـ الأطحل: الذي لونُه كلون الطحال.
البيت ٢٥ :	**البيت ٢٤ :**	**البيت ٢٥ :**
ـ الخيوطة: جمع خيط، والتاء لكثرة الجمع نحو: حجار وحجارة. أتى بالهاء للتأنيث؛ إذ كان بمعنى الجماعة.	خيوطة : الخيوط، وأتى بالهاء للتأنيث؛ إذ كان يعني الجماعة كقولك: الجوارية وما أشبه ذلك.	الخيوطة: الخيوط، وأتى بالهاء للتأنيث، إذ كان يعني الجماعة كقولك: الجارية وما أشبهه.

البيت ٢٧:	البيت ٢٦:	البيت ٢٧:
ـ يقول غـدا طاويًا: وطواه من الجـوع، كأنـه طـوى أمعـاءَهُ عليـه، يُقَـال: رجـلٌ طـاوٍ وطَيّـان، والأنثـى طاويـةٌ وطَيَّا، والمصدر: الطَّوَى، وهو خُمْصُ البطن من أيِّ شيء كان. ـ هافيًا: يذهب يمينًا وشـمالاً من شدة الجوع. الشعاب: مَسَايل صِغَارٌ ـ ويعسـل إذا مـر مرًّا سـهلاً في اسـتقامة، ومن ذلك يقال للرمح: عسـال، إذا تتابع عند الهز ولم يكن كزًّا	ـ يقول غـدا طاويًا: وطواه مـن الجـوع، كأنـه طوى أمعاءَهُ عليـه، يُقَال: رجلٌ طـاوٍ وطَيّـان، والأنثـى طاويـةٌ وطَيًّا، والمصـدر: الطَّـوَى، وهـو خُمْصُ البطن من أيِّ شيء كان. ـ هافيًـا: يذهـب يمينًـا وشمالاً من شدة الجوع. الشعاب: مَسَايل صِغَارٌ ـ ويعسـل: إذا مـر مـرًّا سهلاً في اسـتقامة، ومن ذلك يقال للرمح: عسال، إذا تتابـع عنـد الهز ولم يكن كزًّا	- يقـول: غـدا طاويًـا: أي: جائعًـا ضـامرًا طواه الجوع، كأنـه طوى أمعاءه عليـه، يُقـال: رجـلٌ طـاوٍ وطيّـان، والأنثـى طاويـة، وطياء، والمصـدر: الطوى، وهو خمص البطـن من أي شيء كان. ـ هافيًا: يذهب يمينًا وشمالاً من شدة الجوع. الشعاب: في الأصل والنسخة ز: مسـايل، وهو تصحيف، وفي النسخ الأربعة الأخرى: مسـالك، وهوالصـواب. ـ ويعسـل إذا مر مرًّا سـهلاً في اسـتقامة، ومـن ذلـك يقـال للرمـح: عسـال، إذا تتابع عند الهز ولم يكن كزًّا
البيت ٣٦:	**البيت ٣٥:**	**البيت ٣٦:**
ـ القرب هو: وُرود الماء، يقال: قربْتُ الماء أَقْربُـهُ، إذا وَرَدْتُه، وليلة القَرَب: ليلة ورود الماء. وروايتـي: «أحشـاؤها» وهـو أجود عندي	والقـرب: الـوُرود، يقال: قربْتُ المـاء أَقْربُـهُ قَرْبًا: إذا وَرَدْتُـهُ. وليلة القَرَب: ليلة ورود الماء. والأحناءُ: الجوانبُ، الواحد حِنْوٌ. وروايتي: «أحشاؤها»، وهو أجود عندي.	القـرب هـو: وُرود المـاء، يقـال: قربْتُ المـاء أَقْربُهُ قَرْبًـا: إذا وَرَدْتُـهُ. وليلـة القَرَب: ليلة ورود الماء. والأحناءُ: الجوانـبُ، الواحد حِنْوٌ. وروايتي: «أحشاؤها»، وهو أجود عندي

البيت ٣٧:	البيت ٣٦:	البيت٣٧:
ـ وحفظي: وابتدرنا وقصرت، يريد أن القطا عجزت عن العدو، وهو لم يَكِلّ.	وحفظي: وابتدرنا وقصرت، يريد أن القطا عجزت عن العدو، ولم يَكِلّ هو.	وحفظي: وقصرت، يريد أن القطا عجزت عن العدو، ولم يَكِلّ.
البيت ٤٠:	**البَيت ٣٩:**	**البيت ٤٠:**
ـ والأصاريم : جمع أَصْرام- بالفتح - وهو جمع صِرْم - بالكسر - وهو القطعة من الإبل.	والأصاريم: جمع أَصْرام، الواحد صِرْم، وهو القطعة من الإبل.	والأصاريم : جمع أَصْرام، والواحد صِرْم، وهو القطعة من الإبل.
البيت ٤١:	**البيت ٤٠:**	**البيت ٤١:**
ـ قال الخطيب: عبت: تابعت الشُرب، كأنها تُعبِّيه في أجوافها فيكون من التعبية. وغشاشًا ـ بكسر العين المعجمة بعدها شينان معجمتان. قال الخطيب: قال بعض أهل اللغة: معناه على عجلة. وقال غيره: قليلاً أو غير مريء. ـ قال الخطيب: أُحاظة فيما ذكر ثعلب: قبيلة من الأزد، وقال غيره: هي قبيلة من اليمن، ولم يعرفها المبرد، ولم أسمع باسمها إلا في هذا الشعر	عبت: تابعت الشرب، كأنها تصبه في أجوافها، والغِشاشُ: الشيء القليل، يريد أنها وإن تابعت الشرب فذلك منها قليل. وأُحَاظة فيما ذكر أحمد ابن يحيى: قبيلة من الأزد، وقال لي غيره: هي قبيلة من اليمن، ولم يعرفها أبو العباس محمد ابن يزيد، ولم أسمع باسمها إلا في هذا الشعر.	عبت: تابعت الشرب، كأنها تصبه في أجوافها، والغِشاشُ: الشيء القليل، يريد أنها وإن تابعت الشرب فذاك منها قليل. وأُحَاظة فيما ذكر أحمد ابن يحيى: قبيلة من الأزد، وقال لي غيره: هي قبيلة من اليمن، ولم يعرفها. قال أبو العباس محمد بن يزيد: ولم أسمع باسمها إلا في هذا الشعر.
البيت ٤٤:	**في بداية الشرح:**	**في بداية الشرح:**
ـ قال أبو العباس ثعلب: الشنفرى: البعير الضخم، وقال: الشنفرى: العظيم الشفتين.	قال أبو العباس: الشنفرى:البعير الضخم.	قال أبو العباس: الشنفرى:البعير الضخم، وقيل: الشنفرى: العظيم الشفتين.

البيت ٥٤:	البيت ٥٣:	البيت ٥٤:
ـ قال الخطيب التبريزي والزمخشري: النحس: أراد به البرد	النحس: هاهنا البرد.	النحس: البرد هاهنا.
البيت ٥٥:	**البيت ٥٤:**	**البيت ٥٥:**
ـ دعست: دفعت دفعًا بإسراع وعجلة، يقول: سريت على هذه الحال.	ـ دَعَسْتُ: دفعت. يقول: سريت على هذا الحال	ـ دعست: دفعت. يقول: سريت على هذا الحالة.
ـ إرزيزٌ إفْعِيلٌ، يكون من شيئين من الارتزاز أي: الثبوت، يريد أنه يجمد في مكانه من شدة البرد، ومن الرَّزِّ، وهو صوت أحشائه من الشدة. والوجر- بفتح وسكون الجيم بعد راء مهملة - قال التبريزي: هو الخوف، ومنه يقال: أَوْجَرُ منه: أي أَخْوَفُ منه، ووَجِرْتُ منه - بالكسر- أي خِفْتُ.	ـ وإرزيزٌ: إفعيلٌ . من شيئين: من الارتزاز أي الثبوت، يريد أنه يجمد في مكانه من شدة البرد، أو يكون من الرز، وهو صوت أحشائه من الشدة، والوَجْرُ: من الخوف، ومن ذلك يقال: أنا أَوْجرُ، ووجِرٌ من ذلك أي: أخاف.	ـ وإرزيزٌ: إفعيلٌ . من أحد شيئين: من الارتزاز أي الثبوت، يريد أنه يجمد في مكانه من شدة البرد، أو يكون من الرز، وهو صوت أحشائه من الشدة، والوَجْرُ: الخوف، يقال: أنا أَوْجرُ من ذلك، ووجِرٌ من ذاك أي: أخاف.
البيت ٥٦:	**البيت ٥٥:**	**البيت ٥٦:**
ـ يقال: وِلْدَةٌ وإلدةٌ، إذا كانت الواو مكسورةً قلبتها همزة مكسورة إن شئت، وكذلك إذا كانت الواو مضمومة قلبتها همزة مضمومة، كما قالوا في وُجُوهٍ : أُجُوهٌ، فهذا مُطِّردٌ فيها. ـ أبدأتُ: ابتدأت، يقال: من أين أبدأ الركب؟، أي: من أين ابتدأ وطلع؟ أَلْيَلُ: ثابت الظلمة مستحكمها، يقال: نهارٌ أنهر، وشهرٌ أشهر، ودهر أدهر إذا كَمَل.	ـ يقال: وِلْدَةٌ وإلدةٌ، لما انكسرت، كما قالوا في وجوه أجوه، وأُقِّتت في وُقِّتت، وكذلك يُفعل بهذا إذا انكسرت أو انضمت من غير إعراب فهذا مُطِّردٌ. ـ أبدأتُ: ابتدأت، يقال: من أين أبدأ الركب؟، ووضح وأوضح، وطرأ، ودَرَهَ، أي: من أين ابتدأ وطلع؟ أَلْيَلُ: ثابت الظلمة جدًا مستحكم، يقال: نهارٌ أنهر، وشهرٌ أشهر، ودهر أدهر إذا كَمَل.	ـ يقال: وِلْدَةٌ وإلدةٌ، بهمز الواو، لما انكسرت كما قالوا في وجوه أجوه، وأُقِّتت في وُقِّتت، وكذلك يُفعل بهذا إذا انكسرت أو انضمت من غير إعراب، فهذا مُطِّردٌ فيها. ـ وأبدأتُ يقال: من أين أبدأ الركب؟، ووضح وأوضح، وطرأ، ودَرَهَ، أي: من أين ابتدأ وطلع؟ أَلْيَلُ: ثابت الظلمة مستحكمًا، يقال: نهارٌ أنهر، وشهرٌ أشهر، ودهر أدهر إذا كَمَل.

البيت ٦٠:	البيت ٥٩:	البيت ٦٠:
ـ أبـرح: بمعنـى كَـرُمَ وَعَظُمَ، ويجـوز أن يكـون حكـى عـن القـوم، فيريـد أنـه كان يأتي بالبُرحاء وهي الداهيةُ، وقال فيه بعض اللغويين: أبرح: أَتَى بالبَرْحِ، وهي الشدة.	لأبـرح: أي أتـي بالـبرح وهي الشدة.	لأبـرح طارقًـا: لأعظـم طارقًا وأكـرم، ويجوز أن يكـون حكـى عـن القوم، ويريـد أنـه كان يأتـي بالبرحـاء وهـي الداهية، أبـرح: أتـى بالـبرح وهي الشدة.

ومـن خـلال الملحوظـة الأولية لهذا الجدول، نجد أن عدة مـا نقله عبد القادر البغـدادي عـن التبريزي مـن نُقُولٍ يبلغ ثلاثة وعشـرين نقلاً، وقـد توزعت هذه النُّقُول على مدار القصـيدة، وبالتحديـد عند الأبيات: ٥ و١٤ و٢٥ و٢٦ و٢٧ و٣٦ و٣٧ و٤٠ و٤١ و٤٤ و٥٤ و٥٥ و٥٦ و٦٠، وهـي تمثـل شـرحًا لـ ١٥ بيتًا من اللامية، التي يبلغ عدد أبياتها ٦٨ بيتًا، بنسـبة ٢٢٪، وهي نسـبة قليلة ـ كما نرى ـ تمثل ما يزيد على خُمُس النص بقليل.

ملحق

جهود العلماء وعنايتهم بلامية العرب قديمًا وحديثًا

أولاً : الشروح المخطوطة :

١- شرح أبي العباس أَحمد بن يحيى ثعلب (٢٩١هـ)[٢١].

٢- شرح أبي بكر بن دريد (٣٢١هـ)[٢٢].

٣- شـرح أبـي البقاء كمـال الديـن محمد بن موسـى بن عيسـى الدَّمِيريّ (٨٠٨هـ)[٢٣].

٤- شرح مهذب الدين أبي نصر محمد بن يحيى بن كرم النحوي، أَلَّفه سنة ١١٧٠هـ[٢٤].

٥- شرح سليمان بن محمد بن أحمد بن زيد بن سليم، أَلَّفه سنة ١١٩٢هـ[٢٥].

٦- شرح أبي الخير عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين السويدي (١٢٠٠هـ)[٢٦].

٧- شرح عمر بن الحسن بن مسافر الأموي، أَلَّفه سنة ١٢٣٢هـ[٢٧].

٨- شرح محمد سعيد بن عبد اللطيف بن عبد الرزاق البغدادي، كان حيًا سنة ١٢٦٦هـ[٢٨].

٩- شرح أحمد بن محمد بن إسماعيل المعافى التهامي الضحوي (١٢٨٠هـ)[٢٩].

١٠- شرح الحسن بن أحمد المعروف بعاكش الضمدي اليمني (١٢٨١هـ)[٣٠].

١١- شرح محمد محمود بن التلاميد الشنقيطي (١٣٢٠هـ)[٣١].

١٢- شرح محمد الطيب بن محمد صالح بن محمد العلوي المالكي (١٣٣٤هـ)[٣٢].

١٣- شرح أبي بكر بن العربي بن محمد البناني الفاسي (١٣٣٥هـ)[٣٣].

١٤- شرح محمد بن حسن بن أَيلجُك التركيّ[٣٤].

١٥- شرح لعبد الرحمن بن محمد[٣٥].

١٦- شرح لمحمد العصاميّ الدمشقي[٣٦].

١٧- شرح لمحمد الخالدي الصفديّ[٣٧].

١٨- شرح لعبد الهادي التازيّ[٣٨].

١٩- شرح لمؤلف يدعى: المجوسيّ[٣٩].

٢٠- شرح بالفارسية لغلام حسين الشيرازي، المعروف بقاموس كوشي (١٣٣٩هـ)[٤٠].

٢١- شرح اللاميات لحسين بن عبد الجليل برادة[٤١].

٢٢- شرح لمحمد بابا الصحراوي الشنقيطي (١٣٤٤هـ)[٤٢].

٢٣- شرح لمحمد المكي بن محمد البطاوري (١٣٥٥هـ)[٤٣].

٢٤- شرح لعبد الكريم بن الحسين الزين (١٣٦٠هـ)[٤٤].

٢٥- شرح لحكمت بن محمد شريف الطرابلسي (١٣٦٤هـ)[٤٥].

٢٦- شرح لمحمد بن باباه القناني الشنقيطي (١٣٨٢هـ)[٤٦].

ثانيًا : الشروح المفقودة :

١- شرح أبي جعفر النحاس (٣٣٨هـ)[٤٧].

٢- شرح أبي زكريا يحيى بن علي، المعروف بالخطيب التبريزي (٥٠٢هـ)[٤٨].

٣- شرح صلاح الدين خليل بن أيبك الصفديّ (٧٦٤هـ)[٤٩].

ثالثًا : الشروح غير المفردة :

تعرض بعض الشراح إلى شرح **لامية العرب** ضمن كتبهم التي احتوت نصوصًا أخرى غيرها:

١- شرح ابن طيفور البغدادي (٢٨٠هـ) ضمن كتابه **القصائد المفردات التي لا مثل لها**[٥٠].

٢- شرح لمؤلف مجهول من القرن الرابع في كتابه **المنتخب في محاسن أشعار العرب**[٥١].

٣- شرح أبي السعادات هبة الله بن علي بن محمد الحسيني، المعروف بابن الشجري (٥٤٢هـ)[٥٢].

٤- شرح عبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٩٣هـ) ضمن كتابه **خزانة الأدب**[٥٣].

رابعًا : الشروح المفردة المحققة والمنشورة :

١- شرح المبرد (٢٨٥هـ)[٥٤].

٢- شرح الزمخشري (٥٣٨هـ)[٥٥].

٣- شرح أبي البقاء العكبري (٦١٦هـ)[٥٦].

٤- شرح يحيى بن عبد الحميد الحلبي الغساني، المعروف بابن أبي طيّ النجار (٦٣٠هـ)[٥٧].

٥- شرح جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك صاحب **الألفية النحوية** (٦٧٢هـ)[٥٨].

٦- شرح مؤيد بن عبد اللطيف النَّقْجُوَانيّ، كتبه سنة ٩٨٣هـ[٥٩].

٧- شرح أبي جمعة سعيد بن مسعود الصنهاجي الماغوسيّ (بعد ١٠١٦هـ)[٦٠].

٨- شرح أبي الإخلاص جاد الله الغنيمي الفيومي (بعد ١١٠١هـ)[٦١].

٩- شرح محمد بن قاسم بن محمد بن زاكور الفاسي (١١٢٠هـ)[٦٢].

١٠- شرح أبي البركات عبد الله بن الحسين بن مرعي الدوري السويدي (١١٧٤هـ)[٦٣].

١١- شرح عطاء الله بن أحمد بن عطاء الله الأزهري المصري (١١٨٦هـ)[٦٤].

١٢- شرح سليمان بن عبد الله الشاوي العبيدي البغدادي (١٢٠٩هـ)[٦٥].

خامسًا: الشروح المعاصرة:

١- شرح الشيخ حمزة فتح الله (ت ١٣٣٦هـ) ضمن كتابه **المواهب الفتحية**[٦٦].

٢- شرح فؤاد حسنين علي، وقدم لها شرحًا مقارنًا مع لغات سامية أخرى[٦٧].

٣- شرح محمد ناجي القشطيني ضمن كتابه **المختارات**[٦٨].

٤- شرح محمد بديع شريف ضمن كتابه **نشيد الصحراء**[٦٩].

٥- شرح د. عبد الحليم حنفي ضمن كتابه : **شعر الصعاليك منهجه**

وخصائصه، ثم أفرد الشرح بعد ذلك في كتابه : **لامية العرب للشنفرى شرح ودراسة**[٧٠].

٦- شرح يوسف اليوسف ضمن كتابه : **مقالات في الشعر الجاهلي**[٧١].

٧- شرح د. محمد علي أبو حمدة في كتابه : **التذوق الجمالي للامية العرب للشنفرى**[٧٢].

٨- شرح د. علي محسن مال الله ضمن كتابه : **تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام**[٧٣].

٩- شرح محمود أبوناجي ضمن كتابه : **الشنفرى شاعر الصحراء الأبيّ**[٧٤].

١٠- **شرح لامية العرب (الشنفرية)** للشيخ أحماد بن أبا الأبهمي الديماني[٧٥].

١١- شرح الشيخ محمد عبد الله بن محمد سعيد بن أُبيَّاه الشنقيطي المُلقب بُومِيَّة[٧٦].

١٢- **شرح وإعراب لامية الشنفرى**، عبد الرحمن بن عوف كُوني[٧٧].

سادسًا : الدراسات والأبحاث المعاصرة :

١- **سريالية الصورة في لامية الشنفرى**، ميّ مظفر[٧٨].

٢- **لامية العرب دراسة تاريخية نقدية**، محمد مشعل الطويرقي[٧٩].

٣- **لامية العرب للشنفرى**، عبد العزيز إبراهيم[٨٠].

٤- **دراسة بمقدمة كتاب بلوغ الأرب في شرح لامية العرب**، محمد عبدالحكيم القاضي ومحمد عبد الرزاق عرفان[٨١].

٥- **لامية العرب أو رحلة التوحش (دراسة تطبيقية حول مفهوم الوحدة في النص الشعري)**، د. سعود دخيل الرحيلي[٨٢].

٦- رأيي في القصيدة المشهورة بلامية العرب، زكي ذاكر العاني[٨٣].

٧- **الجهود اللغوية والنحوية في شروح لامية العرب**، بشرى عبدالرزاق العذاري[٨٤].

٨- **شعر الشنفرى دراسة أدبية من منظور لغوي**، ابتسام حمزة العنبريّ[٨٥].

٩- لامية العرب بين الشنفرى وخلف الأحمر، باسم إدريس قاسم[٨٦].

١٠- دراسة نقدية في تسمية لامية العرب، د. سيد محمد موسوي[٨٧].

١١- دلالة السيميائية في لامية العرب للشنفرى دراسة وتحليل، شهريار همتي، وجهانكير أميري، ومهدي بورآذار[٨٨].

١٢- قراءة جديدة لنشيد الصحراء لامية العرب، إبراهيم علي شكر[٨٩].

الهوامش:

(*) باحث في اللغة والتراث والمخطوطات.

(١) أنجزت هذه الدراسة في (غرة ذي الحجة ١٤٣٨هـ / ٢٣ / ٨/ ٢٠١٧م.

(٢) انظر: **لامية العرب بين الشنفرى وخلف الأحمر**، د. باسم إدريس قاسم، (ص١٦٦ -١٦٨).

(٣) انظر: **تاريخ التراث العربي** لسيزكين، (٥٥/٢).

(٤) استفدت كثيراً من القائمة التي أعدّها الباحث العراقي مهند بن مجيد العبيدي في تحقيقه لشرح سليمان الشاوي الموسوم بـ:**سكب الأدب على لامية العرب**، (ص٤٣-٤٨)، وقد حررتها وزدت عليها أشياء يسيرة، فجزاه الله عني خيرًا ونفع به وبجهوده. انظر :جهود العلماء وعنايتهم بلامية العرب في الملحق نهاية البحث.

(٥) انظر: **شرح لامية العرب** المنسوب للمبرد توثيق ونسبة، د. محمود محمد العامودي، ولا أدري لماذا لم يذكر لنا مواصفات النسخة وبياناتها بالمكتبة؟!، وكذا **شرح لامية العرب** للتبريزي، تحقيق د. محمود محمد العامودي.

(٦) **مجالس العلماء** للزجاجي، انظر: (ص ٨٤-٨٧، ٩١، ٩٤-٩٩، ٢٦٥).

(٧) **طبقات النحويين واللغويين** للزبيدي، (ص١٤٣)

(٨) **نزهة الألباء** لابن الأنباري، (ص ١٧٤)

(٩) **طبقات النحويين واللغويين للزبيدي**، (ص١٤٣)

(١٠) الثلاث الأزهريات، ونسخة دار الكتب المصرية، ونسخة جامعة الإمام بالرياض، ونسخة برنستون.

(١١) انظر ترجمته في **طبقات النحويين** للزبيدي(٨٦/١)، و**معجم الأدباء** لياقوت (٢١٧٨/٥)، **وإنباه الرواة** للقفطي(٧/٣)، و**بغية الوعاة** للسيوطي (٢٤٦/٢).

(١٢) انظر ترجمته في: **طبقات النحويين** للزبيدي (٥٣٠/١)، و**معجم الأدباء** لياقوت (٢٨٢٣/٦)، و**بغية الوعاة** للسيوطي (٣٣٨/٢).

(١٣) **شرح لامية العرب** للتبريزي، د. محمود محمد العامودي، (ص١٥٤).

(١٤) راجع ترجمته في: **طبقات النحويين** للزبيدي (٨٧/١)، و**نزهة الألباء** للأنباري (١٤٠)، و**تاريخ العلماء النحويين** لابن مسعر (٦٥)، و**معجم الأدباء** لياقوت (٧٧٥/٢)، و**بغية الوعاة** للسيوطي (٤٦٣/١).

(١٥) انظر ترجمته: **وفيات الأعيان** لابن خلكان (١٩١/٦)، و**بغية الوعاة** للسيوطي (٢٣٨/٢)، **الأنساب** للسمعاني (٢١/٣)، و**نزهة الألباء** للأنباري (٢٧٠)، و**سير أعلام النبلاء** للذهبي (٢٦٩/١٩).

(١٦) **تاريخ التراث العربي** لسيزكين (٥٢/٢).

(١٧) **تاريخ الأدب العربي**، كارل بروكلمان (١٠٩/١).

(١٨) **شرح لامية العرب المنسوب للمبرد توثيق ونسبة**، د. محمود محمد العامودي، (ص٨٥).

(١٩) انظر **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**، د. أحمد مطلوب (٢٧/٢- ٣٣).

(٢٠) انظر: **لامية العرب دراسة تاريخية نقدية**، محمد مشعل الطويرقي، (ص٥٣-٥٥)، ولمزيد من الفائدة والتوسع انظر: **الجهود اللغوية والنحوية في شروح لامية العرب**، بشرى عبد الرازق محمد العذاري.

(٢١) **تاريخ الأدب العربي** لبروكلمان (١٠٨/١).

(٢٢) بروكلمان (١٠٧/١)

(٢٣) **فهرس مخطوطات المجمع العلمي العراقي** (٣٨٧/٢).

(٢٤) سيزكين (٥٥/٢)، **نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا** (٢٩٧١/١).

(٢٥) **فهرس المخطوطات الأدبية في دار صدام للمخطوطات** (ص٣٩٠).

(٢٦) **جامع الشروح والحواشي**، عبد الله بن محمد الحبشي (٣ /١٥١٣).

(٢٧) **فهرس المخطوطات الأدبية في دار صدام للمخطوطات** (ص ٣٨٩).

(٢٨) **فهرس المخطوطات الأدبية في دار صدام للمخطوطات** (ص ٣٨٩).

(٢٩) **جامع الشروح والحواشي** (٣ /١٥١٣).

(٣٠) انظر مقدمة د. علي بن ناصر غالب في تحقيقه لشعر الشَّنْفَرَى الأزدي لمؤرج بن عمرو السدوسي(ص ١٣).

(٣١) بروكلمان (١٠٨/١)، سيزكين (٥٥/٢).

(٣٢) **جامع الشروح والحواشي** (٣ /١٥١٣).

(٣٣) **جامع الشروح والحواشي** (٣ /١٥١٣).

(٣٤) بروكلمان (١٠٨/١).

(٣٥) سيزكين (٥٤/٢).

(٣٦) سيزكين (٥٤/٢).

(٣٧) سيزكين (٥٤/٢).

(٣٨) سيزكين (٥٤/٢).

(٣٩) سيزكين (٥٥/٢).

(٤٠) سيزكين (٥٥/٢).

(٤١) **فهرس المخطوطات الأدبية بدار صدام للمخطوطات** (ص ٣٨٨).

(٤٢) **جامع الشروح والحواشي** (٣ /١٥١٣).

(٤٣) السابق (٣ /١٥١٣).

(٤٤) السابق (٣ /١٥١٤).

(٤٥) السابق (٣ /١٥١٤).

(٤٦) السابق (٣ /١٥١٤).

(٤٧) انظر : **شرح القصائد التسع المشهورات** لأبي جعفر النحاس، تحقيق د. أحمد خطاب (٢٧/١).

(٤٨) **خزانة الأدب** للبغدادي (٣٤١/٣)، بروكلمان (١٠٩/١).

(٤٩) **الروض النضر في ترجمة أدباء العصر**، لعصام الدين بن عثمان العمريّ، تحقيق سليم النعيمي (٤٠٥/١).

(٥٠) طُبع بتحقيق د. محسن غياض، منشورات عويدات – بيروت، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٧م.

(٥١) **المنتخب في محاسن أشعار العرب** المنسوب للثعالبي لمؤلف مجهول من القرن الرابع، تحقيق د. عادل سليمان جمال(ص٢٩١-٣٠٢)، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

(٥٢) طُبع بتحقيق علي محمد البجاوي، دار النهضة، القاهرة، ١٣٨٥هـ/١٩٦١م.

(٥٣) شرح منها ثمانية عشر بيتاً، وقد قام بجمعها في سلك واحد وحققها د. محمود العامودي ونشرها في **مجلة جامعة الأزهر** بغزة، المجلد الثالث عشر، العدد الأول سنة١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

(٥٤) بروكلمان (١٠٥/١)، وأعمل الآن بفضل الله على تحقيقه على ست نسخ، يسر الله إتمامه على خير.

(٥٥) طبع دون تحقيق في القاهرة وإسلامبول، وحققه د. محمد إبراهيم حور، مطبعة سعد الدين بدمشق، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

(٥٦) طبع هذا الشرح أولاً في **مجلة المجمع العلمي العراقي**، المجلد ٣٣، الجزء الأول، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، بتحقيق د. محمد خير الحلواني، ثم نشره مستقلاً بدار الآفاق الجديدة ببيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

وحققه كذلك د. رجب إبراهيم الشحات، ونشره ضمن كتاب **دراسات عربية وإسلامية مهداة إلى الشيخ محمود شاكر** ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م، (ص٢٤٣-٢٧٩)، ويُعد شرح العكبري تلخيصاً لشرح الزمخشري السابق، وحققه كذلك محمد أديب عبدالواحد جمران، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٥٧) بروكلمان (١٠٨/١)، وتاريخ التراث العربي لسيزكين (٥٣/٢)، وقد حققه مؤخرًا: د. إبراهيم ابن محمد البطشان، ونشرته دار المنهاج بجُدة، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

(٥٨) **نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا** (١٧٢/١)، وقد حققه د. محمود العامودي، ونشره في **مجلة جامعة النجاح الوطنية** في نابلس، المجلد ١٤ العدد الثاني، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٥٩) حققه د. محمود العامودي ونشره في **مجلة جامعة جرش** بالأردن، المجلد٣، العدد الثاني، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٠) حققه د. محمد أمين المؤدب في رسالة الدبلوم العالي بكلية الآداب جامعة الرباط بالمغرب في جزئين سنة ١٩٩٧م، انظر: **من نوادر مخطوطات المكتبة المغربية**، (ص١٩٤)، وطبعه بعد ذلك مؤخراً بدار الأمان بالرباط بالتعاون مع دار الكتب العلمية ببيروت.

(٦١) حققه د. محمود العامودي، ونشره بمطبعة المقداد بغزة – فلسطين ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(٦٢) حققه د. محمود العامودي، ونشره بمطبعة المقداد بغزة – فلسطين، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م. وكذلك علي إبراهيم كردي في دمشق ١٩٩٥م.

(٦٣) حققه عصام عكلة عبد القهار الكبيسي في رسالته للماجستير بكلية التربية قسم اللغة العربية جامعة الأنبار بالعراق ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٦٤) حققه أولاً: د. عبد الله عبيد الغزالي، ونشره في **حوليات كليات الآداب** بالكويت، الحولية ١٢، الرسالة ٧٤، وذلك سنة ١٤١٤هـ/١٩٩١م. ثم حققه بعد ذلك د. محمود العامودي، ونشره بدار البشير، غزة – فلسطين، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

(٦٥) حققه مهند مجيد برعي العبيدي في رسالته للماجستير بكلية اللغة العربية، جامعة بغداد بالعراق، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٦٦) **المواهب الفتحية**، طبع بالقاهرة لأول مرة سنة١٣١٢هـ/١٨٩١م، وأعادت طبعه مكتبة التراث بالقاهرة، بتحقيق د. محمود إبراهيم الرضواني (١٦٤/١ ـ ١٨٦).

(٦٧) في بحث نشره في **مجلة كلية الآداب** – جامعة القاهرة، المجلد العاشر، ١٣٦٩هـ/١٩٤٨م.

(٦٨) **مختارات محمد ناجي القشطيني**، دار الجمهورية بغداد، سنة ١٣٨٩هـ/١٩٦٨م، ص٣٣٣-٣٧٤

(٦٩) **نشيد الصحراء**، مكتبة دار الحياة، بيروت، ١٣٨٩هـ/١٩٦٨م.

(٧٠) **شعر الصعاليك**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م، (ص١٦٠-١٧٨).

(٧١) **مقالات في الشعر الجاهلي**، دار الحقائق - بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م، (ص٢٠٩-٢٩٣).

(٧٢) طبع هذا الشرح بمكتبة الأقصى بعمان الأردن، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، وهي رسالة من القطع الصغير في ٨٤ صفحة، ثم طبعه مرة أخرى تحت اسم: **في التذوق الأسلوبي واللغوي للامية العرب**، بدار عمار بالأردن ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٧٣) **تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام**، بغداد، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، (ص٤٠٧-٤١٨)

(٧٤) **الشنفرى شاعر الصحراء الأبيّ**، وزارة الثقافة الجزائرية، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، (ص١٠٥-١٣٤)

(٧٥) وقد فرغ الشيخ من هذا الشرح في رمضان ١٣٩٢هـ. ولكنه طُبِع في ربيع الآخر ١٤٣١هـ/٢٠١٠م. ويقع هذا الشرح في ٢٦ صفحة.

(٧٦) ضمن كتاب **الأمالي اللغوية في المجالس الكويتية**، المشتملة على شرح قصيدة كعب، ولامية الشنفرى والمعلقات السبع، قيدها د. وليد عبد الله المنيس، إصدارات مجلة الوعي الإسلامي بالكويت، العدد١٠١، ١٤٣٦هـ /٢٠١٥ م، (ص٧٣-١٢٤).

(٧٧) وسمَّاه: **جَوْبُ جوفِ الفَرى بشرح وإعراب لامية الشنفرى** ، وطبعته دار الميراث النبوي بالجزائر، في مجلد صغير يقع في ٢٥٢ صفحة، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

(٧٨) بحث منشور في **مجلة الأقلام**، العدد الثاني، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

(٧٩) رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية – جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٨٠) نشر ضمن سلسلة الموسوعة الصغيرة، دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

(٨١) نشر بدار الحديث، القاهرة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

(٨٢) بحث منشور بمركز بحوث كلية الآداب جامعة الملك سعود بالرياض، في ٦٥ صفحة، عدد (٢٢)، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(٨٣) بحث منشور في **مجلة آداب الجامعة المستنصرية** بالعراق، العدد٢٧، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

(٨٤) رسالة ماجستير بكلية العلوم الإسلامية بجامعة بغداد، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٨٥) بحث نشر مفردًا في ثمانين صفحة بمركز النشر العلمي بجامعة الملك عبدالعزيز بالسعودية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

(٨٦) بحث مطول يقع في حوالي ستين صفحة، نشر في **مجلة التربية والعلم** بالموصل، المجلد ١٨، العدد الأول، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

(٨٧) بحث منشور في **مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها** بإيران، في٢٠صفحة، العدد١١، (ص١٣١-١٥٠)، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

(٨٨) بحث منشور في **مجلة إضاءات نقدية** بإيران في ١٨ صفحة، العدد ١٤، (ص٦٩-٨٦)، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م

(٨٩) بحث منشور في **مجلة العربية والترجمة**، في ١٤ صفحة، العدد٢٣ من السنة السابعة، (ص٢٠٣ -٢١٦) بيروت، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

أبو الحسن عبدالكريم بن فضال الحلواني القيرواني الأندلسي

حياته وما تبقَّى من شعره

(جمع وتحقيق وتوثيق ودراسة)

أ.د. محمد عويد محمد الساير(*)

تقديم:

هذا جمع لشعر الشاعر القيرواني أبي الحسن عبدالكريم بن فضال، من شعراء القرن الخامس الهجري، من القيروان، وصل إلى المغرب فدخل صقلية ثم الأندلس.

وشعره في الأغلب من مقطوعات تجمع بين الغزل، والوصف، والشوق والحنين، وله في المديح نظم يصل إلى مرتبة القصيدة، إلا أني ألحظ أنها ليست تامة، أو أنها ليست كاملة، ربما تكون من اختيار من ترجم له وأورد شيئًا من شعره، أو أن عوادي الزمن الغابر أتت على هذه القصائد كما أتت على الكثير من شعره؛ إذ يبدو لي - من خلال ما قمت به من جمع وتحقيق وتوثيق - أنه صاحب نظم سيال ومكثر في الأغراض والموضوعات، ولكن الزمن جنى عليه وعلى شعره.

رتّبت هذه الوحدات الشعرية بحسب منهج المدرسة العراقية الأصيلة في جمع شعر الشاعر وتوثيقه وتخريجه، على وفق الرواية الثانية التي باتت اليوم من آليات التحقيق المعاصرة ومناهجها، كما يعلم الجميع.

رقّمت الوحدات الشعرية المجموعة، كما رقّمت الأبيات داخلها، ووضعت البحور الشعرية، وأثبتّ الاختلاف في الرواية بين المظان... وما إلى ذلك من خطوات التحقيق ومنهجه التي سيجدها القارئ الكريم مع الدراسة.

وقدّمت بدراسة بسيطة لحياة الشاعر، وأوسع لشعره موضوعًا وفنًا. فقد ضنَّت المظان في إيراد شيء من سيرته، حتى إن مواطنه ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦ هـ) لم يترجم له. وأغلب الظن أنهما متعاصران أو يكادان يقربان من المعاصرة.

سائلاً المولى العزيز أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه تعالى، شاكرًا أستاذي الكبير الدكتور العلامة المحقق عبدالرازق عبدالحميد حويزي، الذي طالت أفضاله عليَّ ولا أعرف لها ردًا.

والله ولي التوفيق

الشاعر الرجل (دراسة في حياته ومكوناته المعرفية والثقافية):

علينا أن نعلم جليًا أنّ هناك اثنين من الشعراء يُعرفان بابن فضال، وكلاهما يكنّى بأبي الحسن. فالأول هو علي بن فضال القيرواني المجاشعي النحوي (ت ٤٧٩ هـ). وهذا رحل إلى المشرق ومدح نظام الملك وزير الدولة السلجوقية[١].

وأما الآخر، فهو صاحبنا وشاعرنا الذي نقدمه في هذا العمل، وقد سكتت أكثر المصادر التي رجعنا إليها في تخريج شعره وتوثيقه وجمعه عن التصريح بأية معلومات من شأنها أن تفيدنا وتفيد القارئ والدارس والباحث في الشعر المغربي والقيرواني والأندلسي في معرفة أسرار هذا الرجل وتفاصيل حياته الدقيقة، وكل

الذي وصلنا من هذه الأسرار والتفاصيل اسمه وكنيته ولقبه؛ إذ هو: أبو الحسن عبدالكريم بن فضال القيرواني الأندلسي، واشتهر بالحلواني... ولا نعلم لماذا! فهذه الكنية وهذا اللقب هو ما اشتهر بهما عند أهل التراجم وأصحاب الكتب والمختارات الأدبية[٢].

ومن خلال شعره المجموع يبدو لنا أنّ القيرواني عاش في صقلية، ومن ثم في الأندلس، حياة حزينة ومضطربة، فظلَّ يحنُّ إلى القيروان ومَن فيها؛ إذ كثرت في ألفاظه شعر الغربة والحنين والشكوى، وأبقت على سمات الحزن والألم في أكثر وحداته الشعرية وأغراضها، حتى في المديح، كما يلحظ القارئ جليًا من خلال شعره المجموع.

ويبدو أنه عاصر صاحب ديوان الخمس. ومن يتولى هذا الديوان كان يعرف في صقلية والمغرب بـ(صاحب الخمس)، ولابد لمن يتولاه أن يكون ذا شخصية لها شأن في تأريخ صقلية وآدابها، وفي عموم المغرب، ويبدو أنّ شاعرنا القيرواني أُعجب بشخصية هذا الرجل، وهو أبو عبدالله محمد بن إبراهيم الكناني الشامي، حين تولى هذه الوظيفة في صقلية[٣]. فمدحه بأكثر من نص شعري واحد[٤]، ونلحظ في ألفاظ هذه النصوص معاني الغربة والألم وصروف الليالي، وما تفعله في المرء، وما فعلته في مشاعر شاعرنا القيرواني ونفسيته، ومن ثَمَّ في شعره.

أيضًا، من ممدوحيه الذين عرفناهم من شعره: الوزير أبو بكر بن عبدالعزيز (ت ٤٧٨ هـ)[٥] في بلنسية. ويبدو من شعر القيرواني في هذا الرجل أنه لجأ إليه بعدما رأى وراجع ملوكًا وأناسًا من أهل الشأن والمكانة، لم يلبوا حاجته التي أرادها. كذلك نراه في نصوص أخرى يستعطفه لأمر ما وقع بينهم، أو لكلام رُفع إليه ضد شاعرنا القيرواني.

ومن خلال النصوص الشعرية الأخرى التي جمعتها لشاعرنا الحلواني القيرواني، يبدو أنه عاش طويلاً من الزمن؛ فهنالك ألفاظ الشيب والمشيب

والبكاء على الشباب وعلى الوطن وطول الترحال والانتقال.... وما إلى ذلك.

فهو حتّى في النصوص الشعرية الغزلية، نراه يكثر من الصبر ودلالاته والولوج إلى معاني الانتظار وألفاظه في الفرج والتيسير وشكوى حال المحب تجاه محبوبه.... ومن المؤكد أن شاعرنا القيرواني مَرّ بظروف وحالات نفسية صعبة ومتشنجة في أغلب مراحل عمره، ولذا كثرت في شعره مثل هذه الألفاظ ومدلولاتها، فهو لا ينفكُّ عن حالته الشعورية المتأزمة في شعره، حتى في الموضوعات والأغراض التي فيها - عند أغلب الشعراء - البوح بالحب، والارتياح، وبثّ آهات الودّ والمحبة، واللقاء، والظفر بما يريد، كالغزل والوصف.

ويبدو أن القيرواني أيضًا لم يعش تلك الحياة الهانئة والطيبة مع خلانٍ له، فنراه يهجو أحد الأشخاص وقد اتهمه في مجلس الشامي (صاحب الأحباس) هجاءً شديدًا بألفاظ (قبيحة) دلالة على عدم الاكتراث بالآخرين الذين أرادوا النيل منه في غربته. ومع أنّ النص في الاستعطاف، إلا أنه يبين لنا أن الشاعر كان مضطربًا في علاقاته مع أبناء جيله وعصره، أو أنه لم يحظ بالاهتمام والرعاية المطلوبة، فما نراه يمدح أحدهم، أو يرثيه أو يرسل له في عتاب أو شكوى، مما يزيد من مآسي حياته الشخصية، ويعمق أحزانها وأتراحها.

ومن هنا، فشاعرنا ابن فضال القيرواني الأندلسي، عاش حزينًا، مغتربًا، يعتصره الألم، ويبكي على شباب، وعلى وطن ؛ اثنين ضاعا منه بلا عودة، مضى الشباب، ومضى هو معه، وبقي شعره لدينا ليعكس لنا تجربة شاعر تقاذفته الخطوب، وأهمله الزمان، والخلان، ونأت به الغربة بعيدًا عن شاطئ السعادة، والحب، والراحة، في الشباب والمشيب.

شعر الحلواني القيرواني الأندلسي (دراسة في الأغراض الموضوعية):

من خلال الوحدات الشعرية التي جمعتها للشاعر ابن فضال القيرواني الأندلسي، يمكننا أن نعرض هنا دراسة بسيطة لأغراضه الشعرية. فالمديح كان من بين الأغراض الشعرية التي طرقها في شعره، وجاءت بين نصوصه الشعرية.

وفيه تبدو معاني الغربة، وذكر مكانه وموطنه الأول «القيروان»، وما عاش فيه من الأيام والأعوام[٦].

ونراه أيضًا يتوجه لممدوحه الوزير في بلنسية بالطلب والتكسب، فهذا حق الله الذي جعله في كفه، وأن عليه أن يؤدي ما ائتمنه الله عليه من المال والمنصب[٧].

وأما في الغزل والنسيب، فنرى ابن بسام الشنتريني يخصص مكانًا جيدًا في ذخيرته لشعر أبي الحسن بن فضال القيرواني، وكذلك تبعه الآخرون في تكرار هذه الشواهد. وفي أغلب هذه النصوص - وكما أسلفت - نرى القيرواني الحزين، وليس القيرواني المتغزل الطرِب، الهزج مع المشوق، كعادة الشعراء، ولربما كان له من التجديد أن قلب معاني الغزل إلى هذا الحزن، وهذا الالتياع والبكاء، عن طريق الغرض وما يدل إليه، وما جاء في شعره، وما يوحي به لنفسية الشاعر وحالته الشعورية على غير عادة الشعراء العرب في هذا الغرض[٨].

وبعد غرضَي المديح والغزل، نرى للوصف بعض الحضور عند شاعرنا القيرواني، فقال يصف خياطًا في أحد نصوصه الشعرية التي جمعناها له[٩]. وفي هذا النص يطلق شاعرنا القيرواني العنان لخياله ليتحول إلى التغزل بهذا الخياط ومهنته[١٠] وما تفعله الإبرة في الثوب، كما يفعله سهم الشوق في خلد الشاعر المستهام وكبده، وهو تشبيه مكرر، أُخذ من معاني بعض الشعراء العرب من قبله؛ إذ هي صورة مرئية معروفة، وملتقطة عند الجميع، وما على الشاعر إلا أن يضعها في بوتقة إبداعه، ويرينا قدرته على الخيال والابتكار، وأرى أنّ القيرواني لم يكن صاحب خيال واسع في هذا الجانب.

ومن شعره في الوصف أيضًا، له شعر يصف غلامًا وسيمًا أراد الحج[١١]. وفي هذا النص يبين عن كُنه مشاعره النفسية والشخصية الخاصة، ولاسيما في كبر السن، ووصف هذا الغلام بصغر سنه وحداثته، وأيضًا هو لا ينسى التعريض ببني البشر وما لاقاه منهم، ولاسيما في الشطر الأخير من النص الشعري؛ إذ أراد أن يغسل مقلته وما رأته من دم البشر بماء زمزم المبارك الطهور، وفي هذا

أعظم دلالة على ما عاناه القيرواني بين أبناء جلدته وأترابه من مصاعب وويلات يبدو أنها كانت كبيرة وعظيمة حتى جاءت بكل هذا الوصف والتهويل في شعره.

وأما عن باقي أغراض الشاعر القيرواني، فقد تحولت بين الغربة والحنين، والبكاء على الماضي، وزوال الشباب وضياعه وشعره بين أناس لم يعرفوه، ولم يقدروه حق تقديره، أو يعطوه المكانة اللائقة بأدبه وعلمه[١٢].

لعل تلكم كانت أهم الأغراض الشعرية التي جاءت في نصوص الشاعر الحلواني القيرواني من خلال ما تمكنا من جمعها له، ولعل قوادم الأيام تضعنا على شعر جديد نرى فيه أغراضًا أخرى تكشف لنا المزيد من غوامض حياته، وأسرارها التي بقيت مجهولة إلى يومنا هذا.

شعر الحلواني القيرواني الأندلسي (دراسة في الخصائص والسمات الفنية):

من خلال دراستنا لخصائص شعر القيرواني الفنية، رأينا أغلب شعره الواصل إلينا كان في المقطوعات، ومن هنا فالشاعر استوفى إلى حد كبير سمات النظم في المقطوعات وشرائطه، كما صرّح بهذه الشرائط والسمات أكثر النقاد والأدباء القدامى والمحدَثين. فهو يعالج الفكرة بعناية، ويتقن التعبير في البوح عن مشاعره من خلال هذا النظم البنائي المهم في النص الشعري العربي.

وأما في بعض القصائد التي وردت في مجموعه الشعري، فهي ـ كما أسلفت ـ اقتطعت من قصائد طويلة، وضاع أغلبها. فأرى الخواتيم الشعرية لها مفتوحة تحتمل المزيد من المعاني والأفكار من قبل الشاعر، وهذه القصائد تبدو صورة كلية في الغزل - كما وصلت إلينا - أو لربما كانت مقدمات غزلية لقصائد مدحية ضاع أغلبها، والله أعلم.

وأما في الصور الشعرية، فنرى أنّ الشاعر القيرواني مال إلى بعض فنون البيان، ولاسيما التشبيهات والاستعارات، وهي واضحة الدلالة والمعاني، فلم نرَ

عمقًا وخيالاً من قبل الشاعر في رسم صوره، علمًا أن حالته الشعورية والنفسية التي تحدثنا عنها، والتي عرفناها من شعره، كانت تفيده في الكثير من رسم الصورة، والاتكاء على الكثير من مصادرها، والتفنن في استنطاق الخيال وأنواعه والمجاز، إلا أن ذلك لم يحدث إلا نادرًا، وأبقت صوره معتمدة على الجوانب اللفظية واللغوية، وبعضًا من الحواس، ولاسيما البصرية والذوقية. وكان الواجب أن تكون أعمق من ذلك وأوسع!

ولعلنا نلحظ بعضًا من سمات الابتكار والتخييل من خلال التشبيه الضمني في بعض شعر الشاعر القيرواني كقوله:

يا نفسُ ويحكِ في التغرّب ذلةٌ ... فتجرّعي كأسيْ أذى وهوانِ

وإذا نزلت بدار قومٍ دارهم ... فلهم عليك تعزّز الأوطانِ

فالشمسُ أشرفُ ما تكون بكبشها ... وسقوطها في كفَّة الميزان[١٣]

وأما عن ألفاظه الشعرية، فقد رأيت فيها الكثير من البرود والغثاثة، تصل أحيانًا إلى اللغة القسرية للألفاظ الشعرية التي لا تناسب الغرض أبدًا، فهناك ألفاظ. كما هو بائن في النصوص الشعرية المجموعة له. غير مستساغة ولا تناسب النص الشعري وغرضه الذي جاءت فيه، فلفظة (السكين، والسكاكين) لا تصحُّ كثيرًا مع الغزل... مثلاً. ولفظة المقراض لا تصحُّ ووصف غلام وسيم في أوج عمله ومهنته. وكلمة (لبكه) في النصيحة، وعموم ألفاظ هذه المقطوعة وقافيتها ورويها[١٤]، فهذه الألفاظ ليست ألفاظ شاعر عاش في عصر الطوائف وفي القرن الخامس الهجري، في المغرب والأندلس، وهو -كما يعلم الجميع ويدرك- عصر كبار الشعراء وفحولهم، في النظم والإبداع والفرادة والاصالة والتميز؟!

ولنقل مثل هذا الأمر عن أوزان الشاعر القيرواني وقوافيه؛ فأغلب أوزانه. كما هو واضح من النصوص الشعرية المجموعة. من البحور القصيرة أو المجزوءة التي تجافى عنها كبار شعراء العربية وفحولها على مر الأزمان. ومن هذه الأوزان التي جاءت في شعره على سبيل المثال لا الحصر: المديد، والمنسرح، والخفيف،

والسريع، ومجزوء الهزج.. وما إلى ذلك.

وهذه أوزان تقرب إلى النثرية منها إلى الشعرية، ولذا أسهمت في خلق نص شعري ضعيف من جهة الألفاظ والصورة، فضلاً عن الوزن والموسيقى .

وكذلك شاعت حروف الروي غير المستخدمة كثيرًا في النظم كالجيم[١٥]. واستخدمه الشاعر استخدامًا غير شعري، فضلاً عن الطويل، الوزن الشعري الذي جاءت عليه الوحدة الشعرية زاد في رِكّتها وهشاشتها اللغوية والدلالية والإيقاعية.

ومن تلكم القوافي: استخدامه الكاف أيضًا الموصولة بالهاء[١٦] وفي ما يبين عنها أنها في النصح، فهذه القافية صعبة وشديدة لا تصلح لهذا الغرض، وإيصالها بالهاء زاد من ثقلها وقوتها على المتلقي حتّى لا يكاد يستطيع إكمالها. وقل مثل هذا الكلام عن نصه الشعري الذي استخدم فيه الطاء الموصولة بألف الإطلاق قافيةً له، وما فيه من ضعف موسيقي ولفظي واضح للجميع[١٧].

ومن النواحي الإيقاعية المتحركة: استخدم الشاعر القيرواني بعضًا من الجناسات والتكرارات وردِّ الأعجاز على الصدور، وكان لها أثر طيب، خلقت موسيقى محببة في بعض النصوص الشعرية التي جاءت فيها، ولربما خففت من غلواء ما قلناه عنه آنفًا في ألفاظه وموسيقاه الثابتة وصوره الشعرية.

ويبرز لديه التلاعب اللفظي أحيانًا في استخدام هذا الإيقاع الثابت، وفنون البديع فيه ليرسم صورته من خلالها، ومن خلال غرضه الشعري، كقوله من تكرار الألفاظ:

ربّ خياطٍ فتنتُ به ... فِتنةً أفنتْ قُوى جلدي

ومن خلال تجنيس القافية مع هذا البيت:

ربّ خياط فُتنتُ به ... فتنةً أفنتْ قُوى جلدي
لاعبٌ بالخيطِ يفتلُه ... أتراه ظنّهُ جَسدي[١٨]؟

ومن خلال التجنيس الناقص؛ كقوله:

رضاب ثغرك يُضنيني ويشفيني وسحرُ عينيك يغويني ويُغريني[١٩]

ومن خلال التصدير، كقوله:

اسفك دم المُرد إن وجدتهم فليس يلقى العذابَ من سفكَهْ
واترك هواهم إذا همُ تركوا قد يترك الحِبُّ حُبَّ من تركَهْ

ومن خلال تجنيس القافية أيضًا في النص الشعري السابق:

والله لا صادني له شَرَكٌ فمذ بدا الشَّعر قطّعَ الشركهْ
أفلتُّ من بعد نتفهِ ذنبي ولستُ طيرًا يعودُ للشرَكهْ[٢٠]

فهذه كانت بعض سمات الإيقاع الثابت في شعر القيرواني، تركت نغمًا بسيطًا ولطيفًا في شعره، ولاسيما أنَّ أغلبها جاء مع غرض الغزل الغرض المناسب لاستخدام مثل هذه الإيقاعات ودلالاتها.

خطوات التحقق في جمع شعر الحلواني القيرواني الأندلسي:

بعد التوكل على الله سبحانه وتعالى، وبفضل منه وتوفيقه، جمعت شعر القيرواني الأندلسي، عبدالكريم بن فضال، من شعراء القرن الخامس. والجمع جاء في قسمين: القسم الأول: الشعر صحيح النسبة له. والقسم الآخر: الشعر متدافع النسبة بينه وبين الشعراء الآخرين. ولقد وجدت مقطوعة واحدة رآها الشريشي أنها لغيره، علمًا أني - والله أعلم - أرجّح أنها له، فقد ذكرها ابن بسّام في **الذخيرة**، وهو أقدم من ترجم للحلواني القيرواني، وأكثر من أورد له شعرًا وقصيدًا.

وأما في المقطوعة رقم (٧) التي أشار إليها محققا **الخريدة** الفاضلان على أنها نُسبت إلى أبي نصر محمد بن أحمد ممشاذ، فذلك غير صحيح؛ لأن أكثر المظانِّ أوردتها للقيرواني حتّى **المسالك** المحقق المطبوع بتحقيقيه، ولأن ألفاظها تشابه ألفاظ الحلواني القيرواني في الرحيل والغربة والحزن. ومن هنا أثبتُّها مع

الشعر الصحيح إليه.

وأما عن خطوات التحقيق وإجراءاته في هذا الموضوع، فكانت في الآتي:

١- جمعتُ شعر ابن فضال الحلواني القيرواني من المظان التي ترجمت له وأوردتْ أشعاره.

٢- رتّبتُ ما جمعته من الشعر بحسب القوافي، وبحسب قوة الحركة داخل القافية الواحدة من الضم إلى ما دونها إنْ وجدت.

٣- رقّمتُ الوحدات الشعرية بتسلسل رقمي، ودققتُ الأبيات الشعرية أيضًا داخل هذه الوحدات الشعرية المجموعة، وبينتُ بعض الاختلافات في روايات الأبيات كما جاءت في مظانِّها، ومصادرها الأصلية.

٤- صدّرتُ المجموع الشعري بدراسة بسيطة عن حياة الشاعر، أخذتُ الكثير منها من نصوصه الشعرية المجموعة؛ إذ لم أجد تفصيلاً لحياته وملابساتها في المظان التي رجعت إليها في المغرب والأندلس والمشرق، كذلك شملت الدراسة الحديث عن أغراض الشاعر وموضوعاته، والحديث أيضًا عن بعض من السمات والخصائص الفنية في شعره وقريضه.

٥- خصصتُ حقلاً للشعر متدافع النسبة، شمل وحدة شعرية واحدة لم يرضها الشريشي له، علمًا أنّ ألفاظها وموضوعها ولغتها وصورها وموسيقاها تثبت أنها للحلواني القيرواني، ولكني رأيت من سمات المنهج العلمي أن أضعها في حقل خاص.

متمنيًا أني أسعدت الجميع بشعر الحلواني القيرواني المجموع، ولعلنا نعثر في قابل الأيام على شيء جديد له يزيد من أهميته صنعًا ومضمونًا وغرضًا وفنًا أكثر من هذا الذي وصلت إليه اليوم.

والله أسألُ أن يلهمني السدادَ في القول والعمل إنّه سميع الدعاء.

الشعر المجموع

قافية الباء

(١)

وقال الحلواني: (الكامل)

١- هل بعد سنّ الأربعين تصابي ... ذهب الشبابُ ولاتَ حينَ شبابِ
٢- هل ينفعنك بعد شيبك في الهوى ... توفيرُ مكتسبٍ وحسنُ ثيابِ؟
٣- هيهات ما فخر المهندُ في الوغى ... بحُلي غمدٍ فوقه وقرابِ

ومنها:

٤ - أنت الذي قسمَ الزمانَ لنفسه ... قسمين بين رياسةٍ ومناب
٥- أعطى لمرتبةِ العلاءِ نهارَه ... منها وجنح الليل للمحرابِ
٦- قامت على أُسَّ الفخار عمادُها ... وتزيّنتْ بتأدُّبِ الحُجّابِ
٧- سهلت مداخلها لطالبِ حاجةٍ ... فكأنما بُنيت بلا أبوابِ

التخريج: **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**: ق٤ ج ٧ ص ٢٠٥، **شرح مقامات الحريري**، للشريشي: ج ٣، ص ٣٥٦، البيتان (١، ٢).

(٢)

وفي لبس أهل أُفقنا البياض على المتوفى ، يقول الحلواني: (الوافر)

١- لئن كان البياضُ لباسَ حزنٍ ... بأندلسٍ فذاكَ من الصوابِ
٢- ألم ترني لبستُ بياض شيبي ... لأني قد حزنتُ على الشبابِ

(٢) التخريج: **الذخيرة**: ق١ ج١ ص ٣٨٩، ق ١ ج ٢ ص ٦٩١.

قافية التاء

(٣)

وقال يمدح الشيخ صاحب الخمس أبا عبدالله محمد بن إبراهيم الكناني الشامي بصقلية: (الكامل)

١- نطقتْ بسر ضميره عبراتُهُ وبدتْ بنارِ فؤاده زفراتُهُ
٢- بأبي وأمّي بدرُ تمٍّ تحته غصن كثرنَ لشقوتي ثمراتُهُ
٣- يمشي فيعثرُ في ذيولِ شبابهِ مشيَ النزيفِ وخمرةٌ رشفاتُهُ

ومنها:

٤- ولربَّ باكيةٍ رأت في لَمَّتي بعضَ المشيبِ تألقت ضحكاتُهُ
٥- قالتْ: أغُصنُكَ قد علاه كما أرى زهرُ الرياضِ وما بدتْ ورقاتُهُ
٦- فأجبتُها: قارعتُ في جنبِ الهوى صرفَ الزمانِ وهذه نكباتُهُ

ومن المديح:

٧- شيخُ القبيلة في الجزيرة والذي سبقتْ ظنونَ الحاسدينَ أناتُهُ
٨- ما تفعلُ الأيامُ غيرَ مُرادهِ فكأنَّما حركاتُها أدواتُهُ
٩- هذا الثناءُ عليك يعبق طيبُهُ يا ابن الكرامِ وحاسدوك رواتُهُ

(٣) التخريج: **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**: ق٤ ج ٧ ص ٢٠٢ - ٢٠٣، **شرح مقامات الحريري** للشريشي: ج ١ ص ١٢٨- ١٢٩، الأبيات (٤، ٥، ٦).

قافية الجيم

(٤)

وقال في العذار: (الطويل)

١- إذا كنت تهوى خدّه وهو روضةٌ به الوردُ غضٌّ والأقاحُ مفلَّجُ

٢- فـزدْ كلفـًا منـه وفـرطَ صـبابةٍ وقـد زيـدَ فيـهِ مـن عـذارٍ بنفسجُ

(٤) التخريج: **المختار من شعر شعراء الأندلس**: ص ١٣٢، **خريدة القصر وجريدة العصر**، قسم المغرب والأندلس: ج ٢ ص ١٨٨، **نزهة الأبصار في محاسن الأشعار**: ص ٣٣٧.

قافية الدال

(٥)

وقال الحلواني في خياط: (المديد)

١- ربَّ خـيـــاط فُـتـنـتُ به فـتـنـةً أفـنـــتْ قُـوى جَـلَـدي
٢- لاعـــبٌ بـالخيـــط يفتلُـهُ أتـــــراهُ ظـنَّـــهُ جـسـدي؟
٣- لـيـــتَ أني كـنـتـه فـأرى بـيـنَ ذاكَ الـــوردِ والـبَـــردِ
٤- فـعـلـــتْ بـالـثـوب إبـرتُـــهُ فعل سهم الشوق في خَلدي
٥- وجـــرى المـقـراضُ في يـدهِ جـــريَ عـينـيـه عـلـى كـبـدي

(٥) التخريـج: **الذخيـرة**: ق٤ ج ٧ صـ ١٩٨، **شـرح مقامـات الحريـري** للشريشي: ج ١ ص ٣١٧.

(٦)

وقال الحلواني: (الخفيف)

١- لي حبيبٌ إذا شكـوتُ إليـه في الـهـوى سـامـني عـذابًـا شـديـدا
٢- لستُ أدعو عليه بالشّعر غيظًا خيفة أن يـكـونَ حُـسـنًـا جـديـدا
٣- غيـر أني أدعـو بقلبٍ قريـحٍ أن أراه مـثـلـي مُـحـبًّـا عـمـيـدا

(٦) التخريـج: **الذخيـرة**: ق ٤ ج٧ صـ ١٩٧، **لطائـف الذخيـرة وطرائف الجزيرة**: ص١٧٥ البيت رقم (٢) فقط، **شـرح مقامات الحريري** للشريشـي: ج ١ ص ٤١٤.

اختلاف الروايات:

١- في **شرح مقامات الحريري:**

لي حبيبٌ إذا شكوتُ إليه سامني بالهوى عذابًا شديدا

قافية الراء

(٧)

وقال: (الطويل)

١- **ولما تنادوا للرحيل وقُرّبتْ كرامُ المطايا والركابُ تسيرُ**
٢- **جعلتُ على قلبي يديّ مبادرًا فقالوا محبٌّ للعناقِ يُشيرُ**
٣- **فقلت ومَن لي بالعناق وإنما تداركتُ قلبي حين كادَ يطيرُ**

(٧) التخريج: **الذخيرة**: ق ٤ ج ٧ ص ١٩٧، **مختارات ابن الصيرفي**: ص ١٣١، **خريدة القصر**، قسم المغرب والأندلس: ج ٢ ص ١٨٨، **لطائف الذخيرة**: ص١٧٤، **المطرب من أشعار أهل المغرب**: ٧٥، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**: ج ١٧ ق ٢ ص ١٣٤، تحقيق: د. خريسات وآخرين. ج ١٧، ص ٣٤٣، تحقيق: كامل سلمان الجبوري.

اختلاف الروايات:

١- في **المختارات والخريدة والمطرب**: ولما تدانوا.....

(٨)

وقال الحلواني: (البسيط)

١- **قالوا التحى فامَّحتْ بالشعر بهجتُهُ فقلتُ لولا الدجى لم يَحسُنِ القمرُ**

٢- من كان منتظرًا للصبر عنه به فإنني لغرامي كنتُ أنتظرُ

٣- خطّت يدُ الحسنِ منه فوق وجنتهِ هذي محاسنُ يا أهل الهوى أُخَرُ

(٨) التخريج: **الذخيرة**: ق٤ ج ٧ ص ١٩٧، **لطائف الذخيرة**: ص١٧٤ البيتان (١، ٢)، **شرح مقامات الحريري** للشريشي: ج ١، ص ٤١٤ البيتان (١، ٣).

(٩)

ومما يستحسن في التهنئة بمولود قول الحلواني: (البسيط)

١- نجمٌ تولّدَ من شمس ومن قمر وأين من أبويه الشمسُ والقمرُ؟

٢- شمسُ العفاف وبدرُ المجد بينهماً تولّدَ النورُ إلاّ إنّه بشرُ

٣- لا أقتضيكَ مواعيدًا بدأتَ بها كما تنفّسَ من أكمامها الزَّهرُ

٤- ولا ألومُكَ في تأخيرِ عاجلها من بعد علمي بما يجري به القدرُ

٥- أما ترى الله وهو الله موعده مُؤخرٌ بنعيمِ الخلدِ مُنتظرُ

(٩) التخريج: **الذخيرة**: ق ٤ ج ٧ ص ٢٠٧، **لطائف الذخيرة**: ص١٧٥ البيتان (١، ٢)، **شرح مقامات الحريري** للشريشي ج ٤ ص ٣١٤.

(١٠)

وما أحلى لفظ الحلواني في غلام وسيم أراد النهوض إلى الحج: (المنسرح)

١- يا طالبَ الحجّ وهو ذو صغرٍ عجلتَ فاستأنه إلى الكبرِ

٢- إنْ كنتَ تبغي مثوبةً فعسى تحملُ لي قُبلةً من الحجرِ

٣- وإنْ رميت الجمارَ فارمْ به كلَّ فؤادٍ عليك لم يطرِ

٤- فقال دعني وزمزمًا فعسى أغسلُ منً مقلتي دمَ البشرِ

(١٠) التخريج: الذخيرة: ق٤ ج٧ ص ١٩٨، **أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر**: ص٤٨، **لطائف الذخيرة**: ص ١٧٥ (بدون البيت

الرابـع)، **شـرح مقامات الحريري** للشريشـي: ج ٤ ص ١٨، **رايـات المبرزين**: ص ٢٦٣، **مسالك الأبصار**: ج١٧ ق٢ ص ١٣٤ تحقيق د. خريسات وآخرين. ج ١٧ ص ٣٤٣ تحقيق الجبوري، **لمح السـحر من روح الشـعر**: ص ٢٣١ الأبيات (١، ٢، ٣)، **السحر والشعر**: ص ١٠٧ (الأبيات في المتن دون عزو إلى قائلها)، **نزهة الأبصار في محاسن الأشعار**: ص٣٣٨، **المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل**: ص ٣٨٥.

اختلاف الروايات:

١- **في السحر والشعر:**

يـا طـالـبَ الحـج وهـو ذو صغـرٍ عـجلتَ، فاستنه إلـى الكبرِ

٤- **في أخبار وتراجم أندلسية:**

فـقـال ودعـنـي وزمـزمًـا عسى أغسـل جفني من دمِ البشرِ

في رايات المبرزين:

فـقـال دعـنـي وزمـزمًـا فعسى أغسـل عينيَّ من دم البشرِ

في مسالك الأبصار:

فـقـال دعـنـي وزمـزمًـا فعسى أغسـل من مائه دم البشرِ

في نزهة الأبصار:

فـقـال دعـنـي وزمـزمًـا فعسى تغسـلُ عن وجنتي دمَ البشرِ

في المسلك السهل:

فـقـال دعـنـي وزمـزمًـا فعسى أغسـل عن وجنتي دمَ البشرِ

(١١)

وقال: (الوافر)

١- **طرقتهمُ ببيضِ الهندِ ليلاً فـعـادَ الـلـيـلُ عـنـدهـم نـهـارا**

٢- أطرتَ فؤادها في الجوّ ذُعرًا لبرق في يديك قد استطارا
٣- بنيت الأرضَ فوقهم سماءً وقد أجريتَ من علق بحارا
٤- فليس تراك ألحاظ الدراري وأنتَ حشوتَ أعينها غبارا

(١١) التخريج: **الذخيرة**: ق٤ ج٧ ص ٢٠٥ - ٢٠٦، **لطائف الذخيرة**: ص ١٧٥، البيتان (٣، ٤)، **مسالك الأبصار**: ج ١٧ ق٢ ص ١٣٤ تحقيق د. خريسات وآخرين، ج ١٧ ص ٣٤٣ تحقيق كامل سلمان الجبوري، البيتان (٣، ٤).

قافية السين

(١٢)

وقال: (البسيط)

١- قالوا غدًا رمضانُ فاستعدّ تقى وتُبْ على الصومِ واهجرْ لذّة الكاسِ
٢- إنَّ الهلالَ يُرى حتمًا فقلت لهم حتمتُمُ بشتاتٍ بينَ جلاسي
٣- فقال لي الغَيمُ لا تحفلْ بقولهم عليّ سترته فاشربْ بلا باسِ
٤- فقمتُ أعثُر في ذيل المجونِ إلى جمع المسرّة بين الكاس والطاسِ

(١٢) التخريج: **المختار من شعر شعراء الأندلس**: ص ١٣١، **خريدة القصر**: قسم المغرب والأندلس: ج٢ ص ١٨٨.

قافية الطاء

(١٣)

وقال: يعرِّض برجل جمعه به مجلس بصقلية: (البسيط)

١- ياشاعرَ العصر قد كلّفتني شططا فاصرفْ عنانكَ عنا، أوتأنَّ خطا

٢- حمّلْتني ذنب غيري ظالمًا وأنا ... قد كنتُ أقسطُ في إنصاف من قسطا

٣- وما حسدتُك في شعر أتيتَ به ... ومن يحاولُ لمسًا للسُّهى سَقطا

٤- يا فارس الشعر إن كلَّت فوارسُه ... يومًا وسابقها إن أعلمت مرطا

٥- أن ابن درّاجكم لو قامَ من جدثٍ ... وصحتُ يومًا به من خلفه ضرطا

٦- وليسَ يحسدُ طبعي أبجنيسَكم ... فكيفَ أنتَ لقد جشمتني شططا

٧- فخذ «قفانبك» وانسبْها لنفسك ما ... في الخلق من كاشف بالبحث عنك غطا

٨- ولا تظننَّ أن الشعرَ مكرمةٌ ... فالحرُّ إن رامَ أنً يعلو بـه هبطا

(١٣) التخريج: **الذخيرة**: ق٤ ج ٧ ص ٢٠٥.

الشروح والتعليقات:

١- ابن دراج القسطلي (ت ٤٢١ هـ) هو الذي يريده الشاعر، وهو من أشهر شعراء الأندلس على الإطلاق، وديوانه كبير، ومدروس بدراسات عدة. ينظر في أخباره وترجمته: **ديوانه**: مقدمة المحقق، ص٧ - ٥٦.

٢- أبو جنيس، وأبو جنيش: هي كنية الشاعر الرمادي (ت ق٤هـ)، وهي كنيته بالإسبانية الدارجة والجنيس (ceniza) في الإسبانية تعني الرماد، وترجمة الرماد بالإسبانية على هذا المعنى يكون (El ceinicento).

ينظر: **شعر الرمادي، يوسف هارون، شاعر الأندلس في القرن الرابع الهجري**: ص١٩.

قافية العين

(١٤)

وله من قصيدة يستعطف بها الوزير أبا بكر بن عبدالعزيز ببلنسية: (المتقارب)

١- أتسمعُ فيَّ مقالَ الوشاة وإنْ جئتُ بالعُذرِ لا تسمعُ؟
٢- تقشَّع غَيمٌ بكفيَّ منكَ وصوَّحَ في ساحَتي مُمرعُ
٣- فلولا اعتلاقي بحبلِ الرجاءِ لما حملتْ قلبيَ الأضلُعُ
٤- فإن كانَ قد ماتَ حظي لديك وحاشاكَ بل أنت لي أرفعُ
٥- فدعني أُبيّضُ بشيبي عليكَ فلبسُ المشيبِ له أفجعُ

(١٤) التخريج: **الذخيرة**: ق ٤ ج ٧ ص ٢٠٦.

قافية القاف

(١٥)

وقول عبدالكريم القيرواني: (البسيط)

١- نبَّهتُه والدجى للصبحِ مُلتفتُ وقد تعلّقَ في أذياله الفلَقُ
٢- والنجمُ يجري لعلَّ الغربَ يعصمُهُ فما تلبّثَ حتى نالَه الغَرقُ
٣- والريحُ يمسحُ باقي الطَّلِّ عن زَهرٍ كما يُمسَّح عن ذي خجلةٍ عَرقُ

(١٥) التخريج: **السحر والشعر**: ص ٩٧- ٩٨.

قافية الكاف

(١٦)

وقال: (المنسرح)

١- يا صاحِ خُذها نصيحةً لَبِكهْ بالوُدّ إن كنت فاتكَ الفَتَكَهْ
٢- اسفكْ دمَ المُرْدِ إنْ وجَدتهُمُ فليسَ يلقَى العذابَ مَن سَفكَهْ
٣- واتركْ هواهم إذا همُ تركوا قد يترك الحبُّ حُبَّ من تركَهْ
٤- وقل لمن خان في محبّته لي همةٌ عن هواكَ مُمتسكَهْ

٥- كـانَ بـفـرط الـغـرام يملكُني فأصبحَ الدهرُ عـازلاً ملـكَـهْ
٦- وكـان سـترًا عليـه مَـن مُلح لـولا نبـات بـخَـدِّه هتَكـهْ
٧- والله لا صـادني لـه شَـرَكٌ فمذ بدا الشَّعر قطّعَ الشركَهْ
٨- أفلـتُّ مـن بعـدِ نتفـهِ ذنبـي ولسـتُ طـيرًا يعـودُ للشرَكَهْ

(١٦) التخريج: **الذخيرة**: ق٤ ج ٧ ص ١٩٩.

قافية الميم

(١٧)

وقال يمدح الوزير أبا بكر بن عبدالعزيز ببلنسية: (الطويل)

١- سرى يتخطى الركبَ والركبُ نُوّمُ وثـوبُ الديـاجي بالمجـرةِ مُعلـمُ
٢- حبيبٌ دعته سَـوْرةُ الحب بيننا فـهـانَ عليـه هـولُ مـا يتجشـمُ
٣- أغالـبُ فيك الشـكَّ أني حالمٌ ومَن لم يذُق طعمَ الكرى كيفَ يحلمُ

ومن المدح:

١- ودافـعَ في صـدر العتابِ بأنمُـلٍ بها من دم العشّاقِ وشيٌ منمنمُ
٢- ولَمَّا رأيتُ الركبَ نحوي تشوَّفوا ورابـهـم مـن بـردتـي مـا تنسَّموا
٣- نهضتُ بمدحي أحمد بن محمد لأُوهـمَ أن الطيب من فيَّ يفعمُ
٤- وقمتُ لهُ بين السماطين منشدًا كمـا يـتـغـنّى الـشـاربُ المترنمُ
٥- بمدحِ امرئٍ كلُّ امرئٍ من عفاته يُـخـيَّر فـيـمـا عـنـده ويحـكَّمُ
٦- هـو الليث إلاّ إنّـه ذو شـمائـلٍ كـأنَّ ريـاضَ الحـزنِ عنهُ تبسَّـمُ
٧- كـأن الـذي سـوّاهُ قـالَ لكفّـهِ عليك لهذا الخلقَ رزقٌ مُقسَّمُ
٨- لقد علم المأمونُ أنكَ صـارمٌ بيُـمـنـاهُ لا ينبـو ولا يتثـلَّـمُ
٩- يـقـولـون لي إنّ الملـوكَ كثيرةٌ ورأيُـك أمضى في البلاد وأحـزمُ
١٠- فقلتُ لهم ما كلُّ بيضاءَ شحمةٌ ولا كلّ مصقولِ الصفيحةِ مخذمُ

(١٧) التخريـج: **الذخـيـرة**: ق٤ ٧ ص ٢٠٧، **الـوافي بالوفيات**: ج ١٩ ص ٥٨ (الأبيات بتوفيق ترتيب جامع شعر القيرواني من المصدرين).

(١٨)

وقال يمدح الشيخ صاحب الخمس أبا عبدالله محمد بن إبراهيم الكناني الشامي بصقلية من قصيدة يقول فيها: (البسيط)

١- شدّوا الحدوجَ وزرُّوها على قمر ... في الحسن تنجابُ عن أنواره الظلمُ
٢- دُرّان من فمه شفا مُحدّثهُ ... للنثر والنظم مسموعٌ ومُلتثمُ
٣- فليتَ شعري لمَن أنهى ظُلامته ... وغيرُ منتصف مَن خَصمُهُ الحَكمُ
٤- قد قلتُ لو قبلَ الوعظُ المبينُ له ... خف المُهيمنَ فينا إنَّنا نَسَمُ
٥- فقال مَن ضرَّجتْ خدَّيَّ نظرتُه ... فإنَّ سيفَ جفوني منه ينتقمُ

ومنها:

١- لله منزلةٌ بالقيروان محا ... أيامَها البيْنُ لا الأيامُ والقدمُ
٢- شققتُ جيبَ شبابي بعد فُرقتها ... حُزنًا عليها ولا شيبٌ ولا هرمُ
٣- إنْ فرّق الدهرُ عنها شملنا فلنا ... بصاحب الخمس إبراهيمَ مُعتصمُ

(١٨) التخريج: **الذخيرة**: ق٤ ج٧ ص٢٠١ – ٢٠٢.

(١٩)

وقال أبو الحسن عبدالكريم بن فضال الحلواني في ابتداء قصيدة مزيدة: (الخفيف)

١- عرِّسا بي فذا مُناخٌ كريمُ ... هذه جُمَّةٌ وهذا تميمُ
٢- هذه الجنةُ التي وعد الله ... وهذا صراطُهُ المستقيمُ

(١٩) **المطرب من أشعار أهل المغرب**: ص٥٩.

(٢٠)

وقال: (الطويل)

١- وما كنتُ أدري قبل لؤلؤ ثغره بأنّ اللآلي من نباتِ المباسمِ

ومنها:

٢- منادية أنسابُهُ حِميريّةٌ متوجةٌ بالمجدِ قبل العمائمِ

٣- فما انبسطت إلاّ لجودِ أكفهم ولا انقبضت إلاّ لضبطِ القوائمِ

٤- يجرّون أطراف الرماحِ إلى الوغى كما جرَّت العِقبانُ سود الأراقمِ

(٢٠) التخريج: **الذخيرة**: ق٤ ج ٧ ص ٢٠٧، **لطائف الذخيرة**: ص ١٧٥ (البيت ٤ فقط).

(٢١)

وقال يتشوق إلى القيروان: (الخفيف)

١- ليتَ شعري وليت حرفُ تمنٍّ ربَّما علَّلَ الفؤادَ السقيما

٢- كيفَ يا قيروانُ حالك لمَّا نثرَ البينُ سلكِكِ المنظوما

٣- كنت أمّ البلادِ شرقًا وغربًا فمحا الدهرُ وشْيَكِ المرقوما

٤- نحنُ أبناؤها ولكن غنينا بعد أن لم نُطق بها أن نقيما

٥- دِمنٌ كانت البروجَ وكُنَّا أقمُرًا في قبابها ونجوما

(٢١) التخريج: **الخريدة**: ق٤ ج٧ ص٢٠٢، **شرح مقامات الحريري** للشريشي: ج٣ ص٤٤٢ **المسلك السهل** ص٣٨٨ (البيت الأول فقط).

اختلاف الروايات:

٤- في **شرح مقامات الحريري**: نحن أبناؤها ولكن عققنا.

قافية النون

(٢٢)

وقال من قصيدة: (مجزوء الهزج)

١- ويختالُ بك الطرفُ كما يختالُ نشوانُ

٢- تراهُ وهو لا يدري درى أنك سلطانُ

(٢٢) التخريج: **المختار من شعر شعراء الأندلس**: ص ١٣٢، **خريدة القصر**، قسم المغرب والأندلس: ج٢، ص ١٨٨، **الوافي بالوفيات**: ج١٩ ص ٥٩.

(٢٣)

وقال: (السريع)

١- يا حاملَ السكينِ في وسطهِ ليسَ بهذا تعرفُ العينُ

٢- هل يحملُ السكينَ مَن لحظُه في مُهجِ العشاق سكّينُ؟

(٢٣) التخريج: **الذخيرة**: ق٤ ج٧ ص٢٠٠.

(٢٤)

ويقول الحلواني: (البسيط)

١- رضابُ ثغرك يُضنيني ويشفيني وسحرُ عينيك يُغويني ويُغريني

٢- وفي تثنّيك معنى لا يقوم به ما في الغصونِ من الإرهافِ واللينِ

وقال:

١- اذا وصفتُك باللحظِ الفتورِ فمن قدّ القلوبَ بأطراف السكاكينِ

٢- وإنْ نعَتكَ بالغُصنِ الرطيبِ فما في الغُصن ما فيك من كلّ الأفانينِ

٣- جسمٌ من الماء لكنْ قلبُه حجرٌ أستغفرُ الله لَمْ يخلقْ من الطينِ

٤- وما سمعنا بغُصن مثمرٍ قمرًا تجمعت فيه أشتاتُ الرياحينِ

٥- الوردُ والآس والنسرينُ مجتمعًا فيه وفيه بُنيّاتُ الزَّراجين

٦- لم يرضَ عني فؤادي من ضنانته حتى مسحتُ به في كفّ ضنّينِ

٧- في حبّ مَن لو رآني متُّ من عطشٍ والنيل في يده ما كان يَسقيني

٨- طمعتُ فيه وغرّتني لواحظُهُ إنّ المطامعَ أسبابُ الشياطينِ

٩- قل لابن عشرين وخمسيها من اين جرتْ سهامُ عينيكَ في قلبِ ابن سبعين؟

١٠- ماحجّتي عندَ من في الحبّ يعذلني وآيتي في نُبوّات المجانينِ

١١- إنْ كنتَ في الحبّ سلطانًا على كبدي فخفْ عقوبةَ سلطان السلاطينِ

١٢- أو كان عندك للمسكين مرحمةٌ فإنّ عبدك مسكينُ المساكينِ

(٢٤) التخريج: **الذخيرة**: ق٤ ج ٧ ص ٢٠١.

(٢٥)

وقال الحلواني: (الكامل)

١- يا نفسُ ويحك في التغرّبِ ذلةٌ فتجرَّعي كأسَيْ أذىً وهوانِ

٢- وإذا نزلت بدارِ قوم دارهم فلهم عليك تعُززُ الأوطانِ

٣- فالشمسُ أشرف ما تكونُ بكبشها وسقوطُها في كفّةِ الميزانِ

(٢٥) التخريج: **الذخيرة**:ج ٤ ق٧ ص٢٠٨، **شرح مقامات الحريري**، الشريشي:ج٢ ص٢٥٨، البيتان (١، ٢).

(٢٦)

وقال الحلواني في المديح: (الكامل)

١- وإذا أردتَ تـرَى فضيلةَ صاحبٍ فانظر بعين البحث مَن نُدمانُهُ
٢- فالمـرءُ مـطـويٌّ على علاتِـهِ طيَّ الكتابِ وصحبُـه عنوانُهُ
٣- وكذا دليلُ الجود في ابن محمدٍ بـادٍ بصفحِ جبينـه بُـرهـانُـهُ
٤- وتـرى الليالي فاعـلاتٍ أمـرَه حتّى كـأنَّ صـروفَهـا أعوانُـهُ

(٢٦) التخريج: **الذخيرة**: ق٤ ج ٧ ص ٢٠٤.

قافية الياء

(٢٧)

وقال: (السريع)

١- صـدَّ فما يُصغي لشاكٍ إليـهْ وراحَ والالـبـابُ في راحتيـهْ
٢- مـفـوّق السـهـم إذا مـا رَمـى رمـى ولا قوسَ سوى حاجبيهْ
٣- يـودُّ سـيـفُ الـهـنـد لـو أنّـهُ تعلّـمَ الفتكةَ مـن ناظريـهْ
٤- ذو وفـرةٍ زاد بـهـا هيبـةً وقـد يُـهـابُ الليثُ في لبدتيـهْ
٥- عـنـدي لـه مـن خـدعـي رقـيـةٌ لـو أنّـهـامـرَّت على مسمعيهْ
٦- لا يـدعـي السـقـم بألحاظـهِ فمُهجتي أسـقـمُ من مُقلتَيـهْ
٧- انـظـر لحـالـيـه فـقـد أقسـمـا أنْ ليس يَنجو أحدٌ من يديهْ
٨- انـظـر لخـالـيـهْ فـقـد أقسـمـا بسـيـفِ عينيه على وجنتيـهْ
٩- ريـحـانـةٌ تمـتـنـعُ مَـن شَـمّـهـا وغـيُـرهـا تُـنـفـضُ في مدرعيـهْ
١٠- تـاه بـوجـهٍ كـاد مـن رقـةٍ يقطُرُ ماءُ الحسنِ من صفحتيهْ
١١- رَقـيـبـه مـن فـرط ظـنٍّ بـهِ لشخصِه ألـزمُ من حافظيـهْ

(٢٧) التخريج: **الذخيرة**: ق ٤ ج٧ ص٢٠٠.

قافية الألف اللينة

(٢٨)

وقال الحلواني: (المتقارب)

تعرَّضتُ من شَفَّني هجرهُ ببدء سلامٍ عليه شَفاها
وقلتُ عساه يُردُّ السلامَ فتبلُغ نفسيَ منه مُناها
فجادَ عليَّ بتقبيلةٍ وقد كان أعرض عني وتاها
فكنتُ كموسى أتى للضياءِ ليقبسَ نارًا فناجَى الإلها

(٢٨) التخريج: **الذخيرة**: ق٤ج٧ ص١٩٩، **شرح مقامات الحريري**، للشرشي: ج ٥ ص٢٥٣ - ٢٥٤.

اختلاف الروايات:

٤- **في شرح مقامات الحريري:**

فكنت لموسى أتى للضياء ليقبس نارًا فناجى إلها

المنسوب له ولغيره من الشعراء.

(١)

(قافية الدال)

وقال الحلواني: (مخلع البسيط)

١- قَد حلَّ في سوقكَ الكسادُ مْذ لاحَ في خدِّكَ السوادُ
٢- كأنَّما الشعرُ فيه زرعٌ والنتفُ منهُ لهُ حَصَادُ

(١) التخريج: هي له في **الذخيرة**: ق٤ ج٧ ص٢٠٠. ولغيره من الشعراء

«بدون نسبة» في **شرح مقامات الحريري** للشريشي: ج١ ص ٤١٤ . وأرجح أنها للحلواني نظمًا وفنًا.... والله أعلم.

الهوامش:

(*) قسم اللغة العربية كلية التربية الأساسية في حديثة / جامعة الأنبار

(١) ينظر: **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**: ق٤ ج٧ ص١٩٦، هامش المحقق (٣). وأخطأ د. خريسات وآخرون من محققي **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار** حين أوردوا ترجمة هذا في ترجمة ابن فضل الله العمري لشاعرنا ابن فضال القيرواني. وإنما إشارتهم إلى **الخريدة** كانت إلى ترجمة ابن فضال المجاشعي النحوي. ينظر: **مسالك الأبصار**: ج١٧ ق٢ ص١٣٣. هامش المحققين (٥).

(٢) تنظر في ترجمته وأشعاره:

الذخيرة: ق٤ ج٧ ص١٩٦ – ٢٠٨.

مختارات ابن الصيرفي: ص١٣١، ص١٣٢.

أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر: ص٤٨.

خريدة القصر وجريدة العصر: ج٢ ص١٨٨.

لطائف الذخيرة وطرائف الجزيرة: ص٢٨٥.

شرح مقامات الحريري للشريشي: ج١ ص١٢٨ – ١٢٩ (وتنظر تخريجات مقطوعات شعر القيرواني فيه).

رايات المبرزين وغايات المميزين: ص ٢٦٣، رقم الترجمة (١٣٧).

مسالك الأبصار: ج١٧ ق٢، ص١٣٣ – ١٣٤، رقم الترجمة (٦٨) بتحقيق د.محمد عبدالقادر خريسات وآخرين.

مسالك الأبصار: ج١٧ ص٣٤٢ – ٣٤٣، الترجمة (٤٦٢) بتحقيق كامل سلمان الجبوري.

الوافي بالوفيات: ج١٩ ص٥٨-٥٩ الترجمة (٧٢٠٩).

لمح السحر من روح الشعر: ص ٢٣١.

السحر والشعر: ص١٩٧ ص١٠٧.

نزهة الأبصار في محاسن الأشعار: ص٣٣٧ – ٣٣٨.

المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل: ص٣٨٥، ص٣٨٨.

(٣) رجّح الدكتور المحقق إحسان عباس في **الذخيرة**: ق٤ ج٧ ص٢٠١، هامش (٢) أن يكون اسمه إبراهيم، وسمّاه شاعرنا ابن الفضال في شعره إبراهيم أيضًا، وهو الصواب؛ إذ هو إبراهيم بن محمد الشامي الكناني، عُرف بـ (صاحب الخمس)، وكان من أعيان جزيرة صقلية وساداتها. عاش في أواسط القرن الخامس الهجري، وقصده الناس ووردوا عليه من كل مكان ومدحه الشعراء. ينظر: **ديوان الشعر الصقلي**: ص٢٥٥.

(٤) تنظر النصوص الشعرية: (٣، ١٨، ٢٦).

(٥) هـو أبـو بكر محمد بن أحمد بن عبدالعزيز؛ من حكّام بلنسـية في عهد ملـوك الطوائف، خلف أباه في الوزارة، وخلفه ابنه من بعده. في أخباره مفصلة راجع: **الحلة السيراء**: ج٢ ص١٥٧ – ١٥٨.

(٦) ينظر النص الشعري (١٨).

(٧) ينظر: النص الشعري (١٧).

(٨) ينظر نصوصه في الغزل: (٨،١٠،٢٤).

(٩) ينظر نصه الشعري في الخياط رقم (٥).

(١٠) النص الشعري نفسه، الأبيات (٣،٤،٥).

(١١) النص الشعري (١٠).

(١٢) من نصوصه الشعرية في الغربة والبكاء على الماضي والشباب: (١، ٧، ١٨، ٢٠، ٢٥).

(١٣) ينظر: النص الشعري (٢٥).

(١٤) ينظر: النص الشعري (١٦).

(١٥) ينظر النص الشعري (٤).

(١٦) ينظر: النص الشعري (١٦).

(١٧) ينظر: النص الشعري (١٣).

(١٨) ينظر: النص الشعري (٥).

(١٩) ينظر: النص الشعري (٢٤).

(٢٠) ينظر: النص الشعري (١٦).

الخيال الشعري بين الشابي ومحمد الخضر حسين

بقلم: د. إبراهيم عبد الفتاح رمضان(*)

(٤)

المبحث الثالث

بين الخضر والشابي في مجال التطبيق

(٠/٣) يتغيا هذا المبحث البحث عن مدى تحقيق كل من الخضر والشابي في أشعارهما لما ذكرا من قواعد نظرية في باب الخيال الشعري. فلا شك أنّ رؤية الخضر للخيال تخالف رؤية الشابي له، ولعل الشابي قد ألّف كتابه في الخيال ليرد على الخضر في هذه النظرة التراثية للخيال، فإذا كان الخضر يقف عند حدود المجاز والكناية في التصوير الشعري، ويعتبر ذلك هو الخيال، فإنّ الشابي يذهب أبعد من ذلك، فيجعل ما ذهب إليه الخضر خيالاً صناعيًا؛ «إنّ الخيال الشعري عند أبي القاسم الشابي ليس صناعةً لفظية قوامها الاستعارة والتشبيه، إنما هو ضرب من الرؤية الباطنية الفسيحة، تتخطى حدود الزمان والمكان، وتقيم تواصلاً نفسيًا ووجدانيًا بين العالم الداخلي للشاعر ووجوده الخارجي في نسب جديدة، تحدد طبيعة الصورة الشعرية، وتكشف عن المعاني الشعرية العميقة التي يقصدها الشاعر»(١).

غير أنّ من الباحثين من يرى أنّ «الصورة الشعرية عند الشابي بدأت كلاسيكية في تجاربه الأولى، ثم بدأت تخلط بين الكلاسيكية والرومانسية، ثم

أصبحت بعد ذلك رومانسية الاتجاه. وليس معنى هذا أنّ هناك صورة شعرية رومانسية، أو صورة شعرية واقعية، أو صورة شعرية كلاسيكية، فهذا الفرق غير موجود في الواقع، وإنما يأتي هذا التحديد من أجل الدراسة»[٢]. وبسبب هذا الخلاف في الرؤية بين الرجلين وجدنا التنظير مختلفًا، والاستشهاد مختلفًا، وتطبيق كل منهما على شعره مختلفًا، وهذا ما يحتاج منا إلى توضيح في هذا المبحث.

(١/٣) **هل كان الخضر وَفِيًّا لمنهجه**: اختطَّ الخضر لنفسه منهجًا تراثيًّا في حديثه عن الخيال، فنظر إليه نظرة تراثية تحصره في إعمال الفكر في الصورة للخروج بها في صورة بهية، أو على حد تعبيره هو: «فالروح التي يعد بها الكلام المنظوم في قبيل الشعر، إنما هي التشابيه والاستعارات والأمثال، وغيرها من التصرفات التي يدخل لها الشاعر من باب التخييل»[٣].

وبناءً على هذه الرؤية الواضحة عنده للخيال كانت دراسته دراسة تراثية، تدلِّل على المنهج الذي ارتضاه وسار عليه، وقد ذكرنا أمثلة من اختياره للاستشهاد بها على فكرة الخيال برؤيته هو؛ من حيث كونه تشبيهًا واستعارة ومثلاً. ونسوق الآن ما يفيد ذلك من خلال ديوانه الذي ذكر في مقدمته أنّ طائفة من إخوانه هم الذين اقترحوا عليه جمعه من أوراقه المتفرقة، ليصدره إلى عالم الأدب في صفحات متتالية، ثم إنه لما عرضه على من اقترحوا عليه جمعه أطلقوا عليه اسم ديوان، ولقَّبوه بـ **خواطر الحياة** [٤]. يقول الخضر في قصيدته الهمزية: أي فلسطين:

تلك الأيامى عضَّهن بنابه بؤسٌ وهنَّ الصامتات حياء[٥]

وفي البيت خيال ممتع، حيث جعل البؤس وحشًا كاسرًا له أنياب أصابت الأيامى، بل عضَّتهن عضًّا شديدًا، بيد أنّ حياءهن يمنعهن من الشكوى، وهي استعارة مكنية قرينتها تخييلية -على ما يقول متأخرو البلاغيين- حيث تخيّل أنّ البؤس يعضَّهن وله ناب قوي يؤلم من يعضَّه. وهذا خيال من الشاعر، حيث

إنّ البؤس قد تم تشخيصه، وصار له جِرم، وناب يعدو به على الضعيفات. ويقول الخضر في حُمرة الشفق:

هذا الدجى اغتال النهار ودسّه تحت التراب مضرجًا بدمائه
ما حُمرة الشفق التي تبدو سوى لطخ من الدم طار تحت ردائه[٦]

وفي البيتين صورة مونقة من صور الخيال، حيث تخيل فيها الشاعر الظلام شخصًا عاقلاً قد استولى عليه الحقد والغيظ من النهار، حتى تمكَّن منه فقتله، ودسه تحت التراب، وبقي منه حمرة، هي الدم الذي نتج عن قتله إياه قد طار هذا الدم تحت رداء هذا الظلام. إنّ الدجى قد أخذ صفات الناس فاغتال ودس وكان له رداء، والنهار أيضًا خلعت عليه صفات العاقلين، فوقع عليه القتل والدسّ، وطارت حفنة من دمه فدخلت تحت رداء الليل. ولا يتصور أن يكون من الظلام قتل ولا دسّ ولا رداء، وكذلك النهار لا يكون منه ذلك، ولكنه خيال الشاعر الذي خلع الحياة على ما ليس حيًا، ونسب صفات العاقلين إلى ما ليس يعقل.

ومن أمثلة التشبيه الذي يعمل فيه الخيال قوله عن العرب:

إن سُولموا كانوا الملائكَ سُجَّدًا أو حُوربوا كانوا الليوثَ غضابا[٧]

والخيال هنا يأخذ من الملائكة حالاً واحدة، هي السجود وما فيه من وداعة وسكون وتأمين لمن يراهم؛ حيث إنّ الساجد لا يكون منه مهاجمة ولا أذى. وأخذ من الليوث حالاً واحدة هي الغضب، والأسود إذا غضبت يُتوقع منها التكسير والتدمير والهجوم والتقطيع، وكل ما يمليه منظرها المرعب وقت غضبها. وهذا خيال يجعل الممدوحين في حال مقابلة في وقتين مختلفين؛ وقت المسالمة ووقت المحاربة، ووصف ما يكون منهم في كل حالة من الحالتين.

ويقول أيضًا:

أطلَّ عليّ الموت من خَلَل الضنى فآنست وجه الموت غير كئيب

ولـو جسَّ أحشـائي لخِلـت بنانه وإن هـال أقـوامًـا بـنـانَ طبيب[٨]

وعلى الرغم من أنّ الصورة إلى التشبيه أقرب، إلا أنّ البيت الأول بالاستعارة أَوْلـى، فقد خلع على الموت صـفات النـاس؛ فهو يطل عليه، ولـه وجه غير كئيب، وهو يجس أحشـاء الشـاعر بيده، ويده حانية تشـبه بنان الطبيب المترفِّق، وهذا يعكس لنا إيمان الشاعر بأن ما عند الله خير وأبقى، فهو لا يهاب الموت في الوقت الذي يرهبه الناس جميعًا، حيث إنه يراه رفيقًا به كالطبيب الحاذق الذي يسعى جاهدًا في التعرف إلى العلة، حتى يصف لها الدواء الناجع.

ومن الخيال المستفاد من التشبيه قوله أيضًا عن الساعة:

وغـــلام قـــرب الساعـــة من أذنـه يسمـع منها النقـــراتِ

قـــال: مـا في جوفـها؟ قلـت له سوسـة تقـرِض أيـام حياتي[٩]

والخيـال قد بلـغ أَوْجَهُ من خلال التشـبيه، حيث الغلام صـغير لا يعرف ما بداخل السـاعة، وإنما أذهله نقراتها، وكعادة الأطفال في السـؤال عما لا يعرفون يقول: ما في جوفها؟ ويجيب الشاعر: هي سوسة تقرض أيام العمر، لكن الشاعر نسب قرض السوسة إلى أيام حياته هو، ولم يقل للغلام: أيام حياتك، وهذا يفيد معرفته بقيمة الوقت، والحذر من إضاعته. إنه الخيال الفني الذي تخيل الساعة سوسـة تنخر في عمر الإنسـان، وليس ما نتعارف عليه من كونها مصممة لمعرفة الوقت.

وعلـى هذه الطريقة نرى الشـاعر يحصـر الخيال في التشـبيه والاسـتعارة والمثـل، لا يخرج عن التصـور القديم عند البلاغيين والنقاد من كونه منحصـرًا في الصـورة القديمة، أو قل في مفردات علم البيان التي يسمّيها علماؤنا الصورة البيانية. بيد أنّ مفهوم الصورة قد تطور كثيرًا واتسع مدلولها، وأصبح ينظر إلى مفهوم الصـورة الشـعرية على أسـاس تحديده للقصـيدة أو للعمل الأدبي، «فلم تعد القصـيدة تركيبًا يضم شتاتًا من التشـبيهات والاستعارات، وإنما القصيدة

نظام من التوازن والانسجام بين الصفات المتنافرة، تنطوي على مجموعة من العلاقات، لها صلة قوية بالمشاعر والأفكار. وبالتالي فإنّ السبيل إلى الكشف عن هذا الانسجام هو توليد الصورة التي تعيش ضمن علاقات، وهذه العلاقات هي التي تضيء الأجواء النفسية والوجدانية للشاعر، وتحولها فيما بعد إلى مدرَكات حسية، بعد أن كانت في عالم التجريد، أو العكس»[١٠].

ولا نستطيع الجزم بأن الخضر قد غاب عنه هذا التطور والاتساع الذي حظيت به الصورة، لكن ما نجزم به أنه أراد أن تكون الدراسة للخيال دائرة في فلك من سبقه من البلاغيين والنقاد والفلاسفة العرب؛ ذلك أن مادة الدراسة عربية، والخيال قد سبق من درسه، ولكن بصورة متفرقة، فأراد الشاعر أن يجمع شتات فنونه، ويؤلف بينها.

(٢/٣) الشابي يجمع بين مفهومي الخيال:

قرأ الشابي كلام الخضر، ولم يعجبه قَصْرَه الخيال على الطريقة التراثية، فكانت محاضرته التي طبعت بعد ذلك وصارت كتابًا، وقد رفض فيه اعتبار الخيال مقصورًا على مفردات علم البيان، وكان قد اطلع على الثقافة الغربية، فوسع مفهوم الخيال، و«لامَس هذه الجوانب قبل أن يتعمَّق فيها البحث الفلسفي، منشئًا هذه العلاقة الصميمة بين الخيال والصورة في تعريف قوامة التّمييز بين نوعين أساسيين من الخيال، يرتبط الأوّل بما اصطلح على تسميته بـ(الخيال الفنّي أو الشعري)، الذي «يضرب بجذوره إلى أبعد غور في صميم الشعور»، وليست له صلة بالعقل ككابح لإمكانات الفعل الإبداعي، ويتّصل الثاني بما أسماه بـ(الخيال الصّناعي) القائم على المجاز والتشبيه والاستعارة. ويبوح الشابي بتجنّبه للدرس البلاغي، فهو مبحث (جاف) و(جامد)؛ لأنّ الصّورة تنبع من الرّوح، ومن عوالم قصيّة في ذات الإنسان، فلا تخضع لاشتراطات بلاغيّة، دون أن يجرَّه هذا الموقف من ازدراء للبلاغة كوسيلة في صياغة اللغة الشعريّة والصّورة؛ لأنّه يتعقّب الصّورة في تخلّقها مفرِّقًا بين تخلُّق صناعي طينته حذق

بلاغي، وتخلُّق طبيعي ينساب فيه الشّعور ويتوسّل حينها باللّغة القاصرة»[١١].

بيد أنّ الشابي قد تردد في إنتاجه الشعري: **ديوان أغاني الحياة** بين المفهومين كليهما؛ فهناك أمثلة وقف فيها الشابي في شعره عند حدود النظرة القديمة للخيال حيث مفردات علم البيان، وهناك أمثلة أخرى تخطَّى فيها هذا المفهوم، وصار مؤتلفًا مع ما نادى به في كتابه: **الخيال الشعري عند العرب**، وقد يذهب الشاعر مذهبه الجديد، غير أن الخيال فيها يكون باردًا لا يحرك عاطفة المتلقي. ونسوق أمثلة لثلاثة الأمور السالفة.

١- الخيال القديم عند الشابي: يَلحظ من يقرأ **ديوان الشابي** أنه لم يقطع صلته بالصورة القديمة للخيال عند العرب؛ فورد الخيال عنده -في بعض الصور- متماهيًا مع النظرة التراثية التي تقصر الخيال على مفردات علم البيان، وعلى الرغم من قلة عدد التشبيهات في ديوانه التي بلغت ١٥٠ تشبيهًا[١٢]. وبقسمة هذه التشبيهات على عدد قصائد الديوان ومقطوعاته يتبين قلة التشبيه، وقد استخدم بدلاً عن هذا الطريق طريقًا آخر هو طريق الاستعارة. أقول: على الرغم من قلة التشبيهات، إلا أنها شملت غالب صور التشبيه؛ ما كان مفردًا ومركبًا ومرسلاً ومؤكدًا ...إلخ.

ومن الصور الجمالية التي ذكرها الشابي، وكان عمادها التشبيه: وقد شبَّه بأشياء حسية يدركها المتلقي قوله:

وقال لي الغاب في رقة ... محبَّبةٍ مثل خفق الوتر

شبَّه الرقة بالنغم، والتشبيه أفادنا ملمحًا، وهو أنّ الشاعر يذكر حديثه مع الغاب حينما غلبته الأجواء الرومانسية وما فيها من تجنيح للخيال، فيصف حديث الغاب بالرقة والخفة كأنه النغم الهادئ المنبعث عن أوتار آلة موسيقية. والهدف من التشبيه أن يصور لنا مدى الإحساس العميق بالحزن والأسى الذي كان عليه الحال والجو الحزين في تلك الليلة الخريفية التي حادَثَ فيها الغاب

وسـاءل الدجى ليبثـه همومه وأحزانه. والخيال هنا صـنع للرقة حجابًا، وجعلها خافقة مثل الوتر في خفقه.

ومثل ذلك قوله في القصيدة نفسها:

ويفني الجميع كحلم بديع

شبَّه فناء الجميع من الغصون والثمار والزهر بالحلم البديع الجميل، الذي يرى فيه الإنسـان أشـياء جميلة مبهجة، ثم لا يلبث أن ينتهـي ويندثر دليلاً على السـرعة في التحول. ويفيدنا هذا التشـبيه جانبًا من جوانب نفسية الشاعر، وهو الحزن العميق، حيث يرى شـيئًا سعيدًا، ثم ما هو إلا وقت قليل حتى ينتهي معقبًا خلفه النهاية التعيسـة. والخيال صـنع من سرعة انقضـاء مظاهر الجمال مثلما ينتهي الحلم الجميل عند الاستيقاظ من النوم.

وقد ذكرت زكية يحياوي عدة ملحوظات على تشبيهات الشابي؛ منها:

- تنوع التشبيهات بين بسيطة (مفرد بمفرد) ومركبة (صورة بصورة).
- أكثر التشبيهات البسيطة مرسلة، ثم يليها المؤكدة والبليغة.
- غياب التشبيه الضمني؛ فتشبيهات الشابي صريحة وواضحة.
- أداة التشبيه هي الكاف، وقلما يأتي بالأداة (مثل).

كثيرًا ما يأتي الطرف الأول (المشـبّه) مفردًا، والطرف الثاني (المشـبّه به) متعددًا[١٣]...

إلى ملحوظات أخرى كثيرة.

ومن الصور التي كان فيها المشبّه واحدًا والمشبّه به متعددًا قوله:

عذبة أنت كالطفولة كالأحلام كاللحن كالصباح الجديد

كالسماء الضحوك كالليلة القمراء كالورد كابتسام الوليد

ويعدّ عبد الحميد أحمدي هذه القصيدة من أروع قصائد الشابّي في الحبِّ، فهي تعدّ نموذجًا بارزًا لنضوج الشعر الرومانسي عنده[١٤].

ويرى الدكتور عبد السلام المسدي أنّ هذا المقطع من القصيدة قد انبنى على خطاب يجري مجرى المناجاة؛ إذ يعتمد الوصف المطلق، فكان خطابًا وجدانيًّا ذا مهجة غنائية، فأما المتوجه إليه بالخطاب، فهو ضمير المخاطب (أنت) حلَّ محل الرمز ليعقد الجسر بين الملفوظ والوجدان... وتحول هذا الضمير إلى مفتاح الإلهام الشعري[١٥]. وقد جعل الشاعر الحبيبة مشبَّهة بثماني صور منها الحسي والمعنوي، لكنها مفردات تنتمي إلى الحواس، وهو الأمر الذي لام عليه التراث العربي؛ وقد توزعت صوره التشبيهية هنا بين مرئي ومسموع وملموس. ولعل هذا يؤكد النظرة التي تقول: إنّ الصورة الشعرية عند الشابي بدأت كلاسيكيةً في تجاربه الأولى، ثم بدأت تخلط بين الكلاسيكية والرومانسية، ثم أصبحت بعد ذلك رومانسية الاتجاه. وتلك السُّنَّة في التطور أنه ما من شيء ينشأ من فراغ، وإنما هي مراحل تطورية. ولقد كان الشابي يشكل تشبيهاته «بطرق مختلفة، ومتداخلة، فقد يراعي التشبيه النسبة المنطقية بين طرفي التشبيه -المشبّه والمشبّه به- ، ويركز في ذلك على العلاقات الشكلية والسطحية والشكل الخارجي والمشابهة الحرفية والحسية بين الطرفين، دون أن يراعي التناسب النفسي أو المشابهة النفسية التي تربط بين المشبه والمشبه به، ودون أن يراعي البعد الرمزي للمشبه به، وذلك في الأعمال الأولى. وقد وقع الشابي فيما أخذه على التراث العربي من أنه يصف الناحية الحسية في المرأة، ويقف عند حدود الجمال الذي يوزن بالقنطار، فهو يقول في قصيدته الغزال الفاتن:

قُدُّه فوق رِدْفِهِ ... غصنُ بانٍ على نقا
جِيدُهُ تحت فرعِهِ ... برقُ غيمٍ تألّقا
هِمْتُ وَجْداً بحبِّه ... قد رنا لي فأحرقا
نسبي في غرامه ... نسبٌ صار مُعْرِقا

فقد وقف بالوصف عند الجمال الحسي، على الرغم من عدم رضاه عمَّا في التراث العربي من هذا الغزل الشهواني، وربما يكون هذا الوصف يمثّل فترة من حياته لم يكن فيها قد تشبّع بالمذهب الرومانسي.

- الاستعارة عند الشابي كان لها اهتمام أكبر من التشبيه؛ ذلك أنها أوغلُ في الاتحاد بين طرفي العملية التشبيهية، وهذا ما يميل إليه الشابي، لكن الملاحظ أنه مفتون بنوع واحد من الاستعارة؛ وهو الاستعارة المكنية، ولعل له حجة في ذلك أنه مهتم بالتشخيص والتجسيم، والذي يحقق له ذلك هو الاستعارة المكنية؛ ففي قصيدة (مأتم الحب) يبدو التشخيص واضحاً منذ عنوان القصيدة، وهو أهم محاور التشخيص فيها، فهو يصور الحب كائنًا حيًا قد مات وهو يقيم له مأتمًا، ثم يبدأ في إسباغ الصفات الإنسانية على المعنويات حيث يقول:

ليت شعري !
أي طيرٍ
يسمع الأحزان تبكي بين أعماق القلوب
ثم لا يهتف في الفجرِ، برنَّات النحيب
بخشوع واكتئاب؟

وقهقهة القدر الجبار سخرية

فهو يجعل الأحزان (تبكي) وكأنها إنسان، ثم يعجب من طير يسمعها تبكي، ولا يتأثر ببكائها كما لو كان إنسانًا هو الآخر، فـ(يهتف برنات النحيب) مشاركًا إياه حزنه على (الحب الذي مات)

وفي صورة استعارية أخرى يقول الشاعر:

تنهَّدَ الليلُ حتى قلتُ قد نُثِرَتْ ... تلكَ النُّجومُ وماتَ الجنُّ والبَشَرُ
وعادَ للصَّمت يُصغي في كآبته ... كالفيلسوف إلى الدنيا ويفتكرُ
وقَهْقَهةُ القَدَرِ الجبَّار سُخريةً ... بالكائنات تَضاحكْ أيها القَدَرُ

تمشي إلى العَدَمِ المحتومِ باكيةً ... طوائفُ الخَلْقِ والأشكالُ والصُّوَرُ
وأنت فوقَ الأسى والموت مبتسمٌ ... ترنو إلى الكون يُبْنَى ثمَّ يندَثِرُ

فالليل أليف الشاعر وجليسه، يتنهد ويصغي ويتفكر، والقدر يقهقه ويضحك ويسخر. وكل هذه أفعال بشرية استطاع الشابي خلعها على الليل والقدر من قبيل التشخيص، وهو خاصية من خصائص الاستعارة المكنية، التي تحيل الكائنات غير العاقلة أناسيَّ تتزيا بزي البشر، وتفعل أفعالهم.

ويتساءل أحد من درسوا الشابي قائلاً: هل استطاع الشابي أن يفلت من زمام القديم؟ وألا ينسج على منواله، ويستعير معانيه؟ ثم يجيب بقوله: «إنك تجد في بعض مقطوعاته ما يذكِّرك بالمتنبي في إرساله الحكمة السائرة، وبأبي العلاء في ارتقائه إلى سرٍّ من أسرار الحياة؛ فهو يقول في مقطوعة المجد:

يودُّ الفتى لو خاض عاصفة الرَّدى ... وصدَّ الخميسَ المجرَ، والأسد الوَردا
ليُدركَ أمجادَ الحروب، ولو درى ... حقيقتَها ما رام من بينها مجدا
فما المجدُ في أن تُسكِرَ الأرضَ بالدِّما ... وتركبَ في هيجائها فرسًا نهْدا
ولكنَّه في أن تصُدَّ بهِمَّةٍ ... عن العالَمِ المرزوءِ فيضَ الأسى صدَّا

تجد في هذه الأبيات ما يذكِّرك بشعر المتنبي، في وصف معارك سيف الدولة؛ فـ(خوض عاصفة الردى)، و(صد الخميس المجر)، و(الأسد الورد) لم تكن من ابتكار الشاعر بقدر ما هي تقليد للمتنبي»[١٦].

٢-الخيال بمفهومه الحديث عند الشابي: ارتقى الشابي بمفهوم الخيال في الشعر إلى مصافِّ كبار النُّقَّاد المحدَثين من عرب وغربيين، فنظر إليه نظرة شاملة رأى فيه روح الشعر، فهو الذي يكشف نهر الإنسانية الخالد، وتتدفق فيه أمواج الزمن بعزم وشدة، فالخيال ضرب من الرؤية الباطنية الفسيحة، تتخطى حدود الزمان والمكان، وتقيم تواصلاً نفسيًّا ووجدانيًّا بين العالم الداخلي للشاعر

ووجوده الخارجي في نسب جديدة، تحدد طبيعة الصورة الشعرية، وتكشف عن المعاني الشعرية العميقة التي يقصدها الشاعر[١٧].

والخيال الشعري عند الشابي يتميز بالقدرة على خلق أثر موحد متكامل، عن طريق سلسلة من الأفكار، يخلق منها في النهاية علاقات مشتركة تعرض التجربة عرضًا واضحًا عميقًا. فالشابي يرفض المعنى القديم للخيال، ويقصر التراث العربي القديم على التجربة البسيطة التي ليس فيها تعمُّق، كما كان التراث -في نظره- ينظر للأشياء نظرة مادية تتناسب مع البيئة التي يعيش فيها الشاعر واستعداده الفني في الرسم والتصوير، وبما أنّ البيئة العربية ليس فيها إلا أرض منبسطة، فقد اتسمت نظرة العربي بالسطحية وعدم التعمق؛ فرأى المشاهد بعين رأسه، لا بعين خياله.

وهذه النظرة للخيال هي التي استقر عليها رأي الشابي، وهي التي جعلته ينقُد التراث العربي كلَّه من خلالها. ومن أمثلة هذه النظرة التي استقر عليها رأيه للخيال نراه يحاول في ديوانه أن يكون متَّسقًا معها؛ يقول الشابي في قصيدة المساء الحزين:

أَظَلَّ الفضاءَ جناحُ الغروب ... فألقى عليهِ جمالاً كَئيبْ
وألبَسَهُ حُلَّةً من جَلالٍ ... شجيٍّ قويٍّ جميل غَلُوبْ
فنامَتْ على العُشْبِ تلْكَ الزُّهُورُ ... لمرأى المساءِ الحزينِ الرَّهيبْ
وآبَتْ طيورُ الفضاءِ الجميلِ ... لأوكارِها فرِحاتِ القلوبْ
وقد أضْمرت بأغاريدها ... خيالَ السَّماءِ الفسيحِ الرَّحيبْ
وَوَلَّى رُعاةُ السَّوامِ إلى الحيِّ ... يُزْجُونها في صُماتِ الغُروبْ

فالصور الشعرية -في هذه الأبيات على ما يذكر عزيز لعكايشي- عبارة عن شرائح وجدانية، نبصر من خلالها الواقع النفسي الأليم للشاعر؛ فنوم الزهور على العشب، وعودة الطيور، ورجوع الرعاة صور عبَّرت عن حالة الضياع

النفسي، والغربة القاتلة التي فتكت بالشاعر، فكل هؤلاء قد عادوا إلى أماكنهم، راضين بواقعهم، عدا الشاعر الذي بقي وحيدًا ساخطًا؛ لأنه فقد مكانه، وضاع أمله، وتلاشى حلمه، ولم يعد يجد ما يأنس به؛ فبات غريبًا[١٨].

وفي مقابل صورة الضياع السابقة يذكر الشاعر صورة أخرى تنبض بالتفاؤل والأمل، حتى في اختيار المفردات؛ يقول الشابي:

أَقْبَلَ الصُّبْحُ يُغنِّي ... للحياةِ النَّاعِسَهْ
والرُّبى تَحلمُ في ظِلِّ ... الغُصونِ المائِسَهْ
والصَّبا تُرْقِصُ أورا ... قَ الزُّهورِ اليابِسَهْ
وتَهادى النُّورُ في تِلْـ ... ـكَ الفِجاجِ الدَّامِسَهْ
أَقبلَ الصُّبْحُ جميلاً ... يملأُ الأُفْقَ بَهَاهْ
فتَمَطَّى الزَّهرُ والطَّيْـ ... ـرُ وأَمواجُ المياهْ
قَدْ أَفاقَ العالم الحيْـ ... ـيُ وغَنَّى للحياهْ
فأَفيقي يا خِرافي ... وهَلُمِّي يا شِياهْ

وتعد هذه القصيدة من أعمق شِعر الطبيعة في الأدب العربي[١٩]، تدل على عمق في فهم الحياة وقوة في التجاوب والتعاطف الذي كان يشعر به نحو الطبيعة، وفيها تتجلى قدرة الشاعر على التشخيص الذي يبث في معانيه حرارة الحياة وخفوقها. والأبيات بعث لحياة جديدة تبدأ مع يوم جديد، والبعث أمر معنوي أخرجه الشاعر كيانًا حسيًّا مجسدًا ومستوحى من حركة الكون، وإذا كانت الصورة الماضية مشهدًا يوحي بالضياع واليأس، فالشاعر قد اختار إقبال الليل بظلامه، لكنه حين صور مشهد البعث للحياة اختار لها مشهد الصباح الذي يوحي بالتفاؤل والأمل، كما يوحي بالحركة والنشاط، وهذا يفسر لنا حب الشاعر للحياة، واندماجه مع الكون المحيط به. ولا يخفى علينا ذلك الخيال الرائق المبدع الذي صور الحياة في إقبالها متلألئة وضيئة، كما صوَّرها مظلمة كئيبة.

ونختم حديثنا عن الخيال المبدع الذي تحدث عنه الشابي وحقَّقته شاعريته في ديوانه **أغاني الحياة** بهذه اللوحة الفنية من القصيدة نفسها:

إذا جئْنا إلى الغابِ ... وغطَّانا الشَّجَرْ
فاقطُفي مَا شئْتِ مِنْ ... عُشْبٍ وزهرٍ وثَمَرْ
أرضَعَتْهُ الشَّمسُ بالضَّوءِ ... وغذَّاهُ القَمَرْ
وارتَوَى مِنْ قَطَراتِ الطَّلـ ... ـلِ في وقتِ السَّحَرْ

إنّ الشاعر ممتلئ بالقوة والنشاط، وقد انعكست هذه الروح على الطبيعة من حوله، فتراقصت معه عناصرها. غير أنّ الشاعر هنا ذكر صورة في منتهى القوة والجمال حين قال: «أرضعته الشمس وغذاه القمر»؛ فالشمس والقمر يضفيان على العشب والزهر والثمر روح العطف والحنان والدفء الأسري الذي يحسُّه الرضيع من أمه. لقد أحسسنا بالتناغم بين عناصر الكون، ومظاهر الطبيعة -من خلال هذه الصورة الجميلة والخيال الجامح- وقد اشتركت هذه المظاهر كلها في رسم صورة للحياة في وقت الصباح الذي يضفي على النفس النشاط والحيوية.

٣- الشاعر قد يذهب مذهبه الجديد، غير أن الخيال فيها يكون باردًا لا يحرك عاطفة المتلقي، يقول الشابي:

بَذَرَ الحُبُّ بَذْرَهُ ... في فُؤادي فَأَوْرَقَا
بِلِحَاظٍ نَوَافِثٍ ... فَجَنَى حَظِّيَ الشَّقَا
وَسَعَى فِيهِ مُهْذِرُهُ ... عَادِياً ثُمَّ أَعْنَقَا
رُبَّ ظَبْيٍ عَلِقْتُهُ ... بِالبَهَا قَدْ تَقَرْطَقَا
ثُمَّ مِنْ وَصْلِهِ الجَمِيـ ... ـلِ غَدَا القَلْبُ مُمْلِقَا

سَحَرَ اللُّبَّ طَرْفُهُ ما دَهَا الرِّيقَ لو رَقَى
أوْصَبَ الصَّبَّ صَدُّهُ والشَّقَا لَوْ تَرَفَّقَا
صَارَ مُلْقىً بِحُبِّهِ مُوثَقاً لَيْسَ مُطْلَقَا
صَارَ ذا جِنَّةٍ بِهِ ذَا عَذابٍ مُؤَرّقَا

فالصورة الشعرية هنا على الرغم من وجود الخيال فيها، إلا أنّ فيها برودةً، تحول دون الانفعال مع الشاعر؛ حيث إنّنا لا نجد «أصداءً نفسية محتدمة، أو دلالة شعورية عميقة تحملها القصيدة، وهذا النوع من الصور الشعرية التي يشكِّلها الشاعر في لمحة عابرة يضعف من فعالية العمل الشعري وإيقاعه في برودة التقرير ورتابته، بما يحول دون إحداث الأثر المطلوب»[٢٠]. ويشفع للشاعر أنها من أوائل قصائده التي أبدعها، ولم يكن الخيال قد تشكَّل عنده تشكُّله التام الذي ثبت عليه في قصائده التي تأخر إبداعها.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة في تراث علمَين من أعلام الأدب والنقد العربي عمومًا، استعرضنا فيها رأي كلٍّ منهما في موضوع الخيال، تنظيرًا وتطبيقًا واستشهادًا، وما وقفنا عليه من تأثُّر أحدهما، وهو محمد الخضر حسين، بالتراث العربي، واقفًا عند حدوده، مستضيئًا بهديه فيما كتب. واطِّلاع الآخر، وهو أبو القاسم الشابي، على ما لدى الغرب من نظريات نقدية نظر من خلالها إلى التراث العربي، منحِّيًا ظروف المكان والزمان والبيئة واللغة والثقافة، مفتونًا بما لدى الغرب، محاولاً إسباغ كل خير على ما لدى الغربيين، ناسبًا كل نقيصة للتراث العربي.

أقول: بعد هذه الرحلة الطويلة نحط عصا الترحال لنصل إلى بعض النتائج العامة التي توصَّل إليها البحث، تاركين النتائج الجزئية مكانها من الدراسة لمن يعود إليها. ومن هذه النتائج التي نشير إليها:

١. الخيال الشعري الذي هو انفعال ذهني غير واع تستجيب له النفس أيضًا بغير وعي، وذلك تبعًا لما تقتضيه الصور الفنية.

٢. الخيال الشعري نِتاج تفاعلٍ جمالي بين الشاعر والمتلقي، ينتج منه وعي جديد بالعالم والأشياء، يكون هذا التفاعل مغايرًا في الطبيعة الإدراكية للوعيين الحسي والعقلي.

٣. الشعراء في الجاهلية والإسلام كانوا ينسبون مصادر إبداعهم إلى كائنات من غير البشر -كالجن والشياطين- وادَّعوْا أنها توحي إليهم بالشعر، بيد أن إشاراتهم تلك لم تكن سوى محاولة لتفسير أشياء غامضة في التكوين الإبداعي والصورة الخيالية لديهم.

٤. لم يكن القدامى يتحدثون عن الخيال بل التخييل، وقد انتقل مصطلح التخييل من الفلسفة إلى الأدب، فهو مصطلح عربي متداول في التراث.

٥. أكثر النقاد العرب وعيًا بوظيفة الخيال هو حازم القرطاجني، حيث ركز على وظيفة الخيال وأثره، وجعلها في مناحٍ ثلاث : في الرسالة، وفي الملقي، وفي المتلقي.

٦. القول بأن الإبداع يقوم على التفكيك وتأليف عناصر الصورة المعهودة بشكل جديد -كما ذكر كولردج- قول ناقص يشوِّه حقيقة الإبداع في صميمه، فلا ترجع الجِدَّة إلى كون التأليف أو التنظيم جديداً فحسب، بل إلى أن العناصر التي أدخلت في النظام الجديد، كانت -بالفعل- جديدةً من حيث معناها ووظيفتها.

٧. ذكر الخضر حديث البلاغيين الذين تكلموا في الخيال قبله، وقسمه قسمين: التخييل التحضيري، والتخييل الإبداعي، فالخيال عند الخضر خيال واحد يمر بمرحلتين: مرحلة التحضير ومرحلة الإبداع.

٨. الخيال عند الشابي خيالان: الأول يفهم من خلاله سرائر النفس وخفايا الوجود، وتنطبع فيه النظرة الفنية التي يلقيها الإنسان على هذا الكون

الكبير. ويسـمَّى الخيال الفني أو الخيال الشعري. والثاني: خيال متطور عن الخيال الأول، اتخذه الإنسـان ليعبر به عن ذاته حين تعجز الحقيقة عن نقل أحاسيسه. ويسمَّى الخيال الصناعي أو الخيال المجازي.

٩. الشـابي حدد نـوع الخيال الذي سيدرسـه، وهو الخيـال الأول الذي هو الإحسـاس بالجمال في هذا الكـون، والتعبير عنه بطريقـة توحي بعمق هـذا الإحسـاس وتجذُّره في النفس، ومـا إذا كان تراثنا يتحقق فيه هذا الخيال المقصود أو لا.

١٠. الشـابي يغمز الخضـر حين يقرر أن البحث عن الخيال في التشـبيهات والاسـتعارات ليس هواية للشـاعر، لكن هناك من يهواها، وهي مباحث جامدة وجافة ليس فيها غُنْية ولا جمال، ولا تنير سـبيلاً. وبالتالي نجد أنّ طريقة الشـابي تختلف عن طريقة الخضـر في البحث عن الخيال في الشعر العربي.

١١. دراسة الخضر لموضوع الخيال دراسة تراثية مستوعبة، أحاطت بالقضية مـن معظـم جوانبها، ومثَّلـت لما تقـول بطريقة واعية تـدرك واقع اللغة وطبيعة الشـعر العربـي، جمعت ما تفرق من قضـايا الخيال في التراث العربي.

١٢. رغبة الشابي في مخالفة ما ذكره الخضر كانت سببًا في إلقاء محاضرته ليبـين مفهومًـا جديدًا للخيـال، يخرجه من نطاق مفـردات علم البيان إلى مجال أوسـع؛ له صـلة بالروح والوجود والطبيعة، لا بخيال يصـنعه الإنسان من حلى لفظية تتمثل في صوْغ استعارة جيدة أو تشبيه أو كناية.

١٣. تأليف الشابي لكتابه في سن مبكرة جعلت بعض الباحثين يعدونها أمارةَ عبقريـة، وجعلت آخرين يرون فيهـا نوعًا من الاندفـاع ومحاولة إثبات الذات، وجعلت فريقًا ثالثًا ينظر للأمر على أنه شـطط قابَل به شـططًا هو الجمود وتقديس التراث.

١٤. اختلاف النظرة إلى الخيال ترتب عليها الاختلاف في طبيعة النصوص التي استشهد بها كلا الرجلين على ما يسوق من قضايا.

١٥. كان الشابي قاسيًا على تراث أمّته في أحكامه، كما كان مندفعًا لم يتريّث، ولم يراعِ طبيعة اللغة العربية وأدبها وثقافتها، كما أنه -إلى حد كبير- كان وفيًّا لمَبادئه، وذلك من خلال شعره.

وهناك نتائج أخرى تظهر بجلاء لمن يعاود قراءة هذا العمل، وقد بذلتُ جهدي، وما بخلت بوقت ولا طاقة، فإن كان ما ذكرت صوابًا، فهذا ما رجوت، وإلا فحسبي أنني حاولت.

والله المستعان والحمد لله أولاً وآخرًا

الهوامش:

(*) كلية الآداب جامعة المنوفية والقصيم

(١) **مظاهر الإبداع الفني في شعر الشابي**، عزيز لعكايشي، ص١٠٢، رسالة ماجستير بمعهد الآداب والثقافة العربية، جامعة قسنطينة، ١٩٨٠م.

(٢) **الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي**، د. مدحت سعد محمد الجبار، ص٣٥-٣٦. الدار العربية للكتاب، طرابلس، ١٩٨٤م. وينظر أيضًا: أبو القاسم الشابي في ميزان البحث رؤية النقاد لتجربته، محمد سيف الإسلام بوفلاقة، **مجلة الرافد** التي تصدر عن قسم الدراسات والنشر بدائرة الثقافة والإعلام في الشارقة، بتاريخ: ٢٠١٢/١٢/٣م.

(٣) **الخيال في الشعر العربي**، الخضر، ص٤.

(٤) **ديوان خواطر الحياة**، محمد الخضر حسين، ص٧-٨، ضمن الأعمال الكاملة التي أصدرتها دار النوادر بالكويت، المجلد السابع، ط١، ٢٠١٠م.

(٥) السابق، ص١٢.

(٦) السابق، ص١٩.

(٧) السابق، ص٢٢.

(٨) السابق، ص٣٢-٣٣.

(٩) السابق، ص٥١.

(١٠) **مظاهر الإبداع الفني في شعر الشابي**، عزيز لعكايشي، ص٩٥. وينظر كذلك في مفهوم الصورة

بشـقيها القديم والجديد وفي التمثيل لكل منهما: الصـورة الشـعرية عند نازك الملائكة، سـامية آجقو، **مجلة المخبر**، جامعة محمد خيضـر، بسـكرة، الجزائر، العدد السادس، ٢٠١٠م. وكذلك ينظـر في المقارنة بين الصـورة في الدراسـات القديمـة والحديثة: **الصـورة الأدبية وخصائصـها اللغوية بين البلاغيين والأسـلوبيين**، خالد بوزياني، رسـالة دكتـوراه بجامعة الجزائر، ٢٠٠٦-٢٠٠٧م.

(١١) أبو القاسـم الشـابي: الشّـعر ابن الحياة، د. نزار شـقرون، مقال في **الفجر نيوز** بتاريخ: ٧/٥/ ٢٠٠٩م، الشبكة الدولية من موقع: http://www.turess.com/alfajrnews 17074.

(١٢) على ما أحصـت زكية يحياوي في بحثها للماجسـتير: **الصورة الشعرية في التجربة الرومانسية**، ص١٠٤، كلية الآداب واللغات، بجامعة مولود معمري تيزي وزو، ٢٠١١م.

(١٣) السابق، ص١٠٤- ١٠٥.

(١٤) **مظاهـر رومانسـيّة في شـعر أبـي القاسـم الشـابي**، عبدالحميد أحمدي، ص١٨، **مجلة إضـاءات نقدية**، السنة الأولى، العدد الرابع، كانون الأول ٢٠١١م.

(١٥) **قراءات: مع الشـابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون**، عبد السـلام المسـدي، ص٢٢، دار سعاد الصباح، الكويت، ط٤، ١٩٩٣م.

(١٦) **أبو القاسـم الشـابي: دراسـة في حياته وأدبه**، فخري أحمد حسـن طملية، ص١٠٥-١٠٦، رسـالة ماجستير مقدمة لكلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ١٩٧٣-١٩٧٤م.

(١٧) **مظاهر الإبداع الفني في شعر الشابي**، عزيز لعكايشي، ص١٠٢.

(١٨) على ما ذكره الدكتور خليفة التليسـي في كتابه: **الشـابي وجبران**، ص٨٨، طرابلس الغرب، ليبيا، ط١، ١٩٥٧م. ونقـل ذلـك عنه الدكتور محمد شـفيق البيطار في بحثه: صـورة الطبيعة في شـعر الشابي، ص٣٩، **مجلة جامعة دمشق**، المجلد ٢٤، العدد ٣-٤، ٢٠٠٨م.

(١٩) السابق، ص١١٣.

(٢٠) **مظاهر الإبداع الفني في شعر الشابي**، عزيز لعكايشي، ص١٠٥.

السياسي والصحافي والجغرافي
رشدي صالح مَلحَس

د. عبدالرحمن الشبيلي(*)

يُذكر بالإعجاب، للمملكة العربية السعودية، منذ مطلع تأسيس عهدها الثالث المعاصر قبل قرن ونيّف، أن موحّدها (الملك عبدالعزيز) عالج إخراجها من عزلتها الفكرية والاجتماعية والجغرافية، باصطفاء نخبة من المستشارين السعوديّين والعرب في مختلف التخصصات، ليكونوا سنداً لتحديث الدولة، ورفْد الضعف التعليمي في الكوادر الوطنية الذين قام عليهم تأسيس الكيان.

وإذا ما استُعرضت قائمة هؤلاء المستشارين، فلا بد أن يُشار بكثير من الاهتمام للصحافي والباحث والسياسي الفلسطيني رشدي مَلحَس، الذي انضم شاباً إلى مجموعة المستشارين (١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م) قادماً من نابلس، وعمره لم يتجاوز الثلاثين عاماً، وكان الملك عبدالعزيز قد فرغ للتوّ من ضمّ مملكة الحجاز، ويستعد لدمج الأقاليم في مملكة واحدة (١٣٥١هـ / ١٩٣٢م).

وكان مَلحَس قد سجّل في شبابه المبكّر نشاطاً سياسيًّا تَمثّل في الانضمام إلى الحركات السريّة لمقاومة الاحتلال الفرنسي، وللاحتجاج على إقامة وطن قومي

لليهود في فلسطين، وحقّق خبرةً صحافية تمثّلت في إصدار **جريدة الاستقلال العربي** الدمشقية (١٩١٨م)، وذلك منذ تخرجه في تخصّص القانون والصحافة في إسطنبول (١٩١٤م).

وقبل سنوات (١٤٣٢هـ / ٢٠١١م) صدر عن دار جداول كتاب عنوانه **رشدي ملحس من نابلس إلى الرياض**، واعتنى بتأليفه الباحث السعودي قاسم بن خلف الرويس، ويُعدُّ هذا الكتاب من أوفى ما نشر في سيرة هذه الشخصية الإعلاميّة والبحثيّة والسياسيّة قليلة الأضواء، وما تركه من أثر في أثناء إقامته الطويلة في المملكة العربيّة السعودية حتى وفاته في جدة (١٩٥٩م). وقد أتاح هذا الإصدار الشامل فرصة لإلقاء الضوء على دوره المهم في تلك الفترة من مخاض تكوين الدولة السعودية الحديثة، ووُفّق مؤلفه في اختيار موضوعه، وفي توظيف مراجعه، وهوامشه وتعليقاته في ٥٠٠ صفحة.

ترجم صاحب **مجلة المنهل** الشيخ عبدالقدّوس الأنصاري، له مبكّراً في مجلته (العدد ٤ المجلّد ٦ ربيع الثاني ١٣٦٥هـ مارس آذار ١٩٤٦م ص ١٧٣)، كما أشار إليه الشيخ حمد الجاسر في مواضع عدة من كتاباته، بكثير من الإشادة بجهوده البحثيّة، ونشر عنه كاتب هذا المقال بحثاً في **جريدة الشرق الأوسط** (العدد ١١٨٧٠ في ٢٥ / ٦ / ١٤٣٢هـ، ٢٩ مايو أيّار ٢٠١١م)، تناول فيه جوانب من سيرته، واستعرض كتابَ الباحث الرويس (المشار إليه آنفاً).

ويمكن القول إن رشدي ملحس يأتي، بين المستشارين، في المرتبة الثانية بعد فيلبي، من حيث غزارة البحث العلمي في أثناء إقامتهما في الجزيرة العربية، مع الظن بأن انصرافه نحو الدراسات الجغرافية والتاريخية لم يظهر إلا بعد وصوله إلى الديار المقدسة، فنجده يقرن بين عمله الصحافي والسياسي، مع اهتمام موسوعي بحثي وتأليفي بارز، وبتحقيق المواقع وبعض كتب التراث،

واهتمـام بالمخطوطـات، والإفادة من مكتبات مكة المكرمـة والمدينة المنورة، مما جعله على تواصـل مع العلماء والبحّاثة والأدباء السـعوديين؛ من أمثال محمد بن بليهد، صـاحب كتاب **صحيح الأخبار**، وحمد الجاسر، وعبدالقدّوس الأنصاري، ومحمد سعيد عبدالمقصود .. وغيرهم.

وقد أحسـن المؤلف الرويس صنعاً في تخصـيص جزء كبير من كتابه لتراث ملحس، والتعريف بكتبه، ونشـر كل مقالاتـه ذات الطابع البحثي التي ظهرت في مطبوعات عصـره، وبخاصـة في **مجلة المنهل** وفي الجريدة السـعودية الرسمية **أم القـرى**، التـي تولى مَلحَس رئاسـة تحريرها بعد يوسـف ياسـين، وبلغت نحو مائة بحث في مواضـيع مختلفة، حيث أراح المؤلف - بتضـمينها في ملحق كتابه- الباحثين من عناء التنقيب في تلك الإصدارات القديمة نسبيًّا.

تبدأ سـيرة رشـدي ملحس زمنيًّا من مرحلة حياته الدراسية والسياسية في إسـطنبول، ثم بدايـة تعلّقه بالصـحافة من خلال **مجلـة المنتـدى العربي** التي أسسـها أحمد عزت الأعظمي في الأسـتانة، وهي مرحلة اسـتغرقت أربع سنوات من شـبابه المبكر، ثم مرحلة انتقاله إلى الشـام لينخرط في العمل السياسـي مع انطلاقـة الثورة العربيـة وانتهاء الحكم العثماني (١٩١٦م)، ليبدأ في ممارسـة العمل الصـحافي من خلال إصدار **جريدة الاستقلال العربي** بمشاركة معروف الأرنـاؤوط (١٩١٨م)، وهـو ما أدى إلى الحكم عليه بالإعـدام، ومن ثمّ الهروب إلى فلسـطين، والنزوح إلى الحجاز بتشجيع من صـديقيه محب الدين الخطيب ويوسف ياسين، وثيقَي الصلة بالملك عبدالعزيز.

وفي أثناء إقامته في المملكة مدة ثلاثين عاماً تقريباً، بدأ نشاطه بمدة قصيرة تولّى فيها الإشراف على تحرير الجريدة الرسمية **أم القرى** خلفاً ليوسف ياسين (١٩٢٨م) ولمدة أربعة أعوام، نشـر خلالها جزءاً من أبحاثه العلمية، في وقت لم

يكن في البلاد سوى تلك الصحيفة، المخصصة أصلاً للإعلام السياسي.

وكما جذبه يوسف ياسين أحد المستشارين السياسيين، إلى تحرير أم **القرى**، فإنه قرّبه إلى العمل معه في الشعبة السياسية التي تضم في عضويتها كل المستشارين، من سعوديّين وعرب وأجانب (تأسست حوالي عام ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م)، تزامناً مع إنشاء وزارة الخارجية، وعلى رأسها الأمير فيصل في مكة المكرمة، فصار مَلحَس مساعداً لرئيس الشعبة السياسيّة (يوسف ياسين) ثم رئيساً لها، وفي الوقت نفسه، انضم إلى قائمة المستشارين السياسيّين.

وتستمد الشعبة أهميّتها في كونها الذراع السياسية للملك عبدالعزيز، حيث يلتقي يوميّاً مع مستشاريه، ويتبادل معهم وجهات نظرهم في الأوضاع الدوليّة، ويقومون بتحرير ما يتم التوصّل إليه، ويحفظ فيها أرشيف متكامل للمعاهدات والاتفاقيّات والمخاطبات السياسيّة.

كما أُلحق بها وحدة للرصد الإعلامي، لتتبُّع ما تذيعه الإذاعات وتبثّه وكالات الأنباء العالمية. وبرزت أهمية هذه الشعبة مع حقيقة اهتمام الملك بعملها، ومع وجود هذه النخبة المميزة من المستشارين؛ من أمثال: الأميرين عبدالله بن عبدالرحمن، وأحمد الثنيان، وخالد السديري، وإبراهيم المعمّر، وحمزة غوث، والدكتور عبدالله الدملوجي، ورشيد عالي الكيلاني، وفؤاد حمزة، وخالد القرقني، وخالد الحكيم، وحافظ وهبة، وبشير السعداوي، وذلك بالإضافة إلى يوسف ياسين ورشدي ملحس.

ولا تكتمل سيرته دون التركيز على ثقافته وأبحاثه، وهو الذي وُصف بأنه دائرة معارف متحركة:أديب وجغرافي محقق، وعالم مؤرخ، وكاتب صحافي، وباحث متتبّع، وله شغف بتاريخ الجزيرة العربية قديمها وحديثها وبجغرافيتها، وكان الرائدَ في تحقيق المواقع الجغرافيّة، فسبق بذلك بعض علمائنا، وكان من

أهم المخطوطات التي حققها: كتاب **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار** للأزرقي، وكتاب **جزيرة العرب** للأصمعي.

أما مؤلّفاته فهي ستة؛ ومنها: **سيرة الأمير محمد عبدالكريم الخطّابي**، و**أخبار مكة** للأزرقي، و**معجم منازل الوحي**، كما أجرى بحوثاً عدة؛ منها: بحث عن المعادن، وآخر عن مسافات الطرق، وعن تقويم الأوقات لعرض المملكة العربية السعودية.

وذُكر أن رشدي ملحس كان أول من وضع تقويم أم القرى، الذي يُعتمَد عليه حاليّاً إلى درجة كبيرة في تحديد أوقات الصلوات وأهِلَّة الصيام والحج. ويبدو أن له مخطوطاتٍ لم تُطبع بعد، وأنه سعى لجمع ما يُظن أنه من الشعر العامي للملك عبدالعزيز.

وكان مَلحَس - بحسب معلومة من رئيس تحرير هذه المجلّة، د.أحمد الضبيب - ينوي تحقيق كتاب **جزيرة العرب**، لكنه إما لم يفعل أو لم يكمله، فتصدّى لتحقيقه العلاَّمة حمد الجاسر والمؤرّخ العراقي المعروف الدكتور صالح أحمد العلي (المتوفّى عام ٢٠٠٢م)، وأصدراه بعنوان **بلاد العرب** من منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، والمجمع العلمي العراقي في نحو ٦٠٠ صفحة، وقد نسبه الشيخ الجاسر - الذي أشرف على طبعه - إلى لُغدة الأصفهاني، مع أن زميله في التحقيق (الدكتور العلي) يرى أنه للأصمعي.

ويُستشَفّ من معلومات سيرته أن رشدي مَلحَس لم يتزوج، وأن أبناء أخيه عبدالفتّاح هم الذين ورثوا مقتنيات مكتبته من كتب وأوراق ومخطوطات.

وهكذا يُرى من عرض هذه السيرة الموجزة أن اتجاهه نحو البحوث الجغرافية والتاريخية قد نافس مهامه الرسمية في رئاسة الشعبة السياسية، والمشاركة في

عمـل المستشـارين، حتى قال عنه فيلبـي: «لو أن الظروف كانت طبيعيّة، لفضّـل رشدي مَلحَس أن يكرّس كل حياته للأدب والدراسة».

ولا بدّ أخيراً أن يُعدّ رشـدي صالح مَلحَس من روّاد تحقيق التراث في المملكة العربية السـعودية، وأنه أول من حاول وضـع منهج لفهرسة المخطوطات العربية، وأنه لفت الأنظار إلى موضـوعات علميّة لم تكـن محل اهتمام الباحثين القدامى (كالمعـادن والمناجـم) ،كما تُسـجل لـه ريادتُه في وضـع معجم شـامل للأماكن الجغرافيّة في الحجاز ونجد، ولمسافات الطرق بينها، وفي تحقيق منازل المعلّقات في الشعر العربي، وفي أمور بحثيّة أخرى.

(*) باحث سعودي.

معجم الألفاظ والتراكيب الاصطلاحية، إسماعيل حقّي البروسوي (ت ١١٣٧هـ)، تحقيق هاني علي حوّاس، مركز البحوث والتواصل المعرفي، الرياض،١٤٣٨هـ،٤٦٤ص.

هذا المعجم هو القسم الثاني من كتاب **الفروقات** (أي الفروق اللغوية) لإسماعيل حقي. وهذا الكتاب هو ثمرة ثقافته وخلاصة علمه. وقد قسَّم المؤلف كتاب **الفروقات** أربعة أقسام، كل قسم له موضوعه المستقل عن بقية الأقسام، وخصَّ القسم الأول بالحديث عن الرسم الإملائي، وخصَّ الثاني بالحديث عن المعجم الألفاظ والتراكيب الاصطلاحية، والثالث عن الفوائد اللغوية، والرابع عن الفروق اللغوية، ولم يضع عنوانًا خاصًا لأيٍّ من هذه الأقسام الأربعة.

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا هو القسم الثاني من الكتاب الأم، حسب ترتيب مؤلفه، وهو معجم لغوي؛ لأن تفسير الألفاظ والتراكيب فيه لا يخرج عن التفسير اللغوي من الناحية الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية.

وأما كونه معجمًا للألفاظ؛ فلأنه يشتمل ألفاظًا مفردة، منها ما هو مصطلح في علم من العلوم المعتبرَة؛ كاللغة والفقه وأصوله، ومنها ما ليس بمصطلح، فلا تخرج عن معناها المعجمي الذي تُعرف به.

وأما كونه معجمًا للتراكيب؛ فلأن فيه من التراكيب ما تصل إلى أن تكون جملة، ومنها ما لا تصل إلى ذلك، فاشتمل هذا وذاك مصطلحُ التركيب. وهذه التراكيب منها ما هو مصطلح علمي في علم من العلوم، ومنها ما ورد في أحد

الكتب التي اطَّلع عليها المؤلف، ورأى أن يقف عليها بالشرح والتوضيح.

يضم المعجم أربعمائة وواحدًا وعشرين لفظًا مفردًا وتركيبًا، مرتبة ترتيبًا هجائيًا؛ منها ثلاثمائة واثنان وعشرون لفظًا مفردًا، والباقي تراكيب اصطلاحية. وقد استشهد المؤلف بمجموعة كبيرة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأبيات الشعرية وبعض الأمثال، كما نقل عن كثير من علماء النحو واللغة والفقه والأصول.

أما منهج المؤلف، فقد لخَّصه محقق الكتاب في النقاط الآتية:

١- ذكر المفردات والتراكيب التي يراها أكثر استعمالاً وشيوعًا على ألسنة الناس، فيفسرها من الناحية اللغوية، فيبين اشتقاقها وأهم الظواهر الصرفية التي تطرأ عليها.

٢- إعجام المفردة والتركيب إعجامًا كاملاً.

٣- نقل الآراء المختلفة في تفسير المفردة أو التركيب المراد.

٤- نقل الآراء السابقة له من كتب التفسير والأصول واللغة والنحو والمعاجم.

٥- إظهار المعاني الحقيقية والمجازية في كثير من التراكيب التي وردت في معجمه.

٦- ذكر كثير من الأصول اللغوية الجامعة في أثناء تفسير المفردات والتراكيب.

٧- الاستشهاد ببعض الشواهد الشعرية من الفارسية، وبعض الكلمات والتراكيب من الفارسية والتركية، وإيضاح معانيها في بعض الأحيان، وإغفال ذلك في أحيان أخرى.

إبراهيم باجس عبدالمجيد

- محمد العجيان، الصحفي الإنسان وأصداء الرحيل؛ محمد القشعمي، دار المفردات للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م.

- عيون القطيف، الفردوس الموؤود؛ عدنان السيد محمد العوامي، أطياف للنشر والتوزيع، ٢٠١٧م.

- حياة في الطب بين الرياض وهايدلبرغ: مراحل من التحولات؛ فالح بن زيد الفالح، جداول، لبنان،٢٥٦ ص، ٢٠١٨م.

- ساعة الصفر؛ منصور بن محمد الخريجي، مدارك، ٣٣٩ص، ٢٠١٧م.

- قصة مكتبة: خمسون عامًا في صحبة الكتب والمكتبات في الوطن العربي وخارجه، د. عبدالله بن عبدالرحيم عسيلان، نادي المنطقة الشرقية الأدبي، ٥٧٤ص،١٤٣٨هـ.

محمد عبدالخالق عضيمة، سيرة وحياة؛ تركي بن سهو العتيبي، مركز البحوث والتواصل المعرفي،الرياض، ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م.

- معجم الألفاظ والتراكيب الاصطلاحية، إسماعيل حقي البروسوي، تحقيق هاني علي حوَّاس، مركز البحوث والتواصل المعرفي،الرياض، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م.

- الإستراتيجية الروسية في الشرق الأوسط، د. عبدالله بن عبدالمحسن الفرج، مركز البحوث والتواصل المعرفي،١٤٣٩هـ/٢٠١٧م.

- قصة الشاي، إي. جايوانت بول. ترجمة هناء العمير، مركز البحوث والتواصل المعرفي،١٤٣٩هـ/٢٠١٧م.

- الاشتقاق في اللغة الجبالية موازنة باللغة العربية، سعيد بن محمد المعشني، مركز البحوث والتواصل المعرفي،١٤٣٩هـ/٢٠١٧م.

- الحياة اليهودية في العصر الحديث، إسرائيل كوهين، ترجمة محمد بن عودة المحيميد، مركز البحوث والتواصل المعرفي،الرياض، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م.

- أبو سعد السمعاني وعالمية الثقافة العربية، يحيى محمود بن جنيد، مركز البحوث والتواصل المعرفي،الرياض، ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م.

- شرح الفصيح، الحسين بن أحمد بن خالويه، مركز البحوث والتواصل المعرفي، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م.

- إيضاح المنهج في الجمع بين كتابي التنبيه والمبهج، ابن ملكون الإشبيلي. تحقيق د. أحمد محمد علام، مركز البحوث والتواصل المعرفي، ١٤٣٧هـ/٢٠١٧م.

- التحرير الصحفي، د. حسين حسن حسين، مركز البحوث والتواصل المعرفي،١٤٣٩هـ/٢٠١٧م.

- الصحافة الإلكترونية، د. أحمد محمد فضل الله. د. حسين حسن حسين، مركز البحوث والتواصل المعرفي، ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م.

- المملكة العربية السعودية والأزمة الاقتصادية العالمية، الانعكاسات والحلول، ١٣٤٨-١٣٥٢هـ/١٩٢٩-١٩٣٣م، د. دلال بنت مخلد الحربي، ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م.

- تركيا قضايا ورؤى، محمد بن عودة المحيميد، مركز البحوث والتواصل المعرفي،١٤٣٩هـ/٢٠١٧م.

- البنى التركيبية والأساليب النحوية في اللغة الجبالية، علي بن سالم المعشني، مركز البحوث والتواصل المعرفي،١٤٣٩هـ/٢٠١٧م.

- جمرة الشوق (ديوان شعر)، عبدالقادر عبدالحي كمال، الرياض، ١٤٣٩هـ، ٢٠١٨م.